



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين



خاصية التدرج وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير
في العلوم الإسلامية - تخصص: دعوة وإعلام واتصال

تحت إشراف :
د. زهير بن كتفي

إعداد الطالبتين:
بشرى قرنيط
ابتسام غضبان

لجنة المناقشة			
الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ. إسماعيل عريف	أستاذ	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
د. زهير بن كتفي	أستاذ محاضر ب	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
د. مليكة بن زيد	أستاذة محاضرة ب	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1440 - 1441 هـ / 2019 - 2020 م



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين



خاصية التدرج وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير
في العلوم الإسلامية - تخصص: دعوة وإعلام واتصال

تحت إشراف:
د. زهير بن كتفي

إعداد الطالبتين:
بشرى قرنيط
ابتسام غضبان

لجنة المناقشة			
الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ. اسماعيل عريف	أستاذ	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
د. زهير بن كتفي	أستاذ محاضر ب	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
د. مليكة بن زيد	أستاذة محاضرة ب	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019-2020م



الإهداء

إلهنا لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بذكرك

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم.

إلى من كانوا سببا في وجودنا آباءنا الأعمام حفظهم الله ورعاهم، إلى ملائكتنا

في الحياة إلى من كان دعاؤهم سر نجاتنا، إلى من جعلت الجنة تحت

أقدامهن أمهاتنا حفظهن الله ورعاهن.

إلى من أظهروا لنا ما هو أجل في الحياة إخوتنا وأخواتنا إلى من مهدوا لنا

طريق العلم والمعرفة أستاذتنا الكرام.

شكر وتقدير

نحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه، ونشكره على إعانتة وتيسيره في

إنجاز هذا البحث، فإننا نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور زهير

بن كتفي الذي أكرمنا بجهده في إعانتنا وإبداء ملاحظاته القيمة وتوجيهاته

السديدة، والذي تعلمنا من أدبه وسمته قبل علمه، فلقد كان لنا مشرفا

وأستاذا ومربيا وأخا هاديا لكل خير.

الملخص باللغة العربية:

يدرس هذا البحث موضوع خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، والذي تطرقنا من خلاله إلى عرض جملة من القضايا الأساسية والمهمة سواء على مستوى المفهوم النظري للمصطلح، أو على المستوى التاريخي من خلال عرض نماذجه في القرآن والسنة النبوية، أو على المستوى الواقعي من خلال عرض بعض الآثار الناجمة عند الأخذ بهذه الخاصية؛ وهذا يعود أساساً إلى أهمية خاصية التدرج في الواقع الإسلامي الدعوي الراهن. وقد وظفنا لأجل تحقيق هذا المسعى منهجاً تراوح بين الاستقراء والوصف والسرد في بعض الأحيان والاستنباط؛ لتتوصل إلى أن خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى هي من أهم الخصائص الدعوية المعينة على إنجاح العمل الدعوي سواء في دعوة المسلمين وغيرهم إلى هذا الدين الحنيف.

Abstract

This research studies the issue of property of the gradient in the call to Allah, which referred to the inter of the fundamental issues of the task, both at the level of the theoretical concept of the term, or on the historical level of the models in the Qur'an and Sunna, or the realistic level through the presentation of some of the impacts upon the introduction of this feature; this is due primarily to the importance of the gradient feature in the present case the Islamic reality the current lawsuit. To achieve this endeavor, we employed a method that ranged from induction, description, and sometimes narration and deduction. Let us conclude that the characteristic of gradualism in the call to God Almighty is one of the most important characteristics of the call to help the success of the work of some of the impacts upon the introduction of this feature; this is due primarily to the importance of the gradient feature in the present case the Islamic reality.

The current lawsuit. To achieve this endeavor, we employed a method that ranged from induction, description, and sometimes narration and deduction. Let us conclude that the characteristic of gradualism in the call to God Almighty is one of the most important characteristics of the call to help the success of the work of advocacy, whether in calling Muslims and others to this true religion.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

1. تصور عام عن الموضوع:

تعد الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال وأرفع العبادات وأجل الأفعال، وأعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، لذلك خصّ الله تعالى رسله الكرام بوظيفة إبلاغ الناس ودعوتهم إلى الإيمان به، وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه لهم، ليهديهم إلى سواء السبيل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:24]، ذلك لأنه من مصلحة الناس وسعادتهم أن يدعو إلى هذا الدين، الذي غايته هداية الناس إلى الحق وإرشادهم إلى الخير وتحبيبهم إليه، وتنفيرهم من الباطل والشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتقويم ما اعوج فيهم من أخلاق، وإصلاح ما فسد فيهم من مبادئ. فأحوال البشر إذن لا تستقيم ولا تصلح إلا بوجود دعاة ومصلحين في كل وقت وحين، ولهذا كان لزاما على الدعاة إلى الله تعالى أن يعملوا جاهدين على تغيير ما في نفوس المدعوين من معتقدات فاسدة ورتائل موروثية والكثير مما نشؤوا عليه وألفوه، من خلال الأخذ بأهم الخصائص الدعوية وأيسر السبل لإحداث الاستجابة والتغيير. وخاصية التدرج في الدعوة إلى الله من أهم هذه الخصائص، فهي جوهر ثمين في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، كونها مستمدة من منهج القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، ولأن بناء العقيدة الصحيحة وتكوين الجيل الإسلامي لا يكون إلا باستحضار خاصية التدرج في منهجية العمل الدعوي، والأخذ بها والاستفادة من آثارها لإنجاح الدعوة الإسلامية.

2. أهمية الموضوع:

يكتسي هذا الموضوع أهميته من أهمية الدعوة نفسها، لما لها من مكانة عظيمة عند الله عز وجل فهي مهمة الأنبياء والمرسلين غايتها إصلاح حال المدعو في الدنيا والآخرة، ما يدفع الدعاة للحرص على حسن عرضها على أكمل وجه، والمعرفة الدقيقة بالطرق المناسبة لاستمالة الناس وجذبهم وصناعة التأثير من أجل الاستجابة للحق، من خلال التدرج بالمدعوين في عرض الدعوة عليهم، فالتدرج يقرب الموضوع للمدعو، ويضمن تهيئته نفسيا لقبول الحق ويسهم في سرعة الاستجابة والاقتناع بالدعوة. وتبرز أهمية الموضوع في النقاط التالية:

- أن التدرج سنه كونية في الوجود.

- أن المنهج القرآني اعتمد على خاصية التدرج في الدعوة والتشريع والتربية، مؤكداً بذلك أن طبائع الناس لا تتغير إلا بالتدرج.
- أن النبي صلى الله عليه وسلم تدرج في دعوته، حتى يتحقق له النصر والتمكين في الأرض.
- أن خاصية التدرج في الدعوة من أهم الخصائص التي تيسر قبول دين الإسلام، وتحمل تكاليفه الشرعية وتطبيقه في الواقع.
- أن خاصية التدرج تعين الداعية على تحديد أمراض المجتمع، وتحديد من أين يبدأ العلاج وكيف يتدرج بالمدعوين وما هو الأول في التقديم والتطبيق.
- أن خاصية التدرج تحقق التهيئة النفسية والفكرية للمدعوين، وتغيير المؤلف الذي اعتاد عليه الناس تدريجياً.

3. إشكالية البحث:

إن تغيير الأفكار والمعتقدات لا يتم بين يوم وليلة، فالأمر يحتاج إلى تدرج مع الصبر والعمل الدائم، والدعوة المستمرة لنقل الناس من محيط الكفر والمعاصي إلى محيط الإيمان والطاعة، ثم الترتي بهم إلى أعلى درجات التقوى والصلاح. وتتمحور الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة حول سؤال: ما هي خاصية التدرج، وما أثرها في الدعوة إلى الله تعالى؟

أهداف البحث:

يتمثل الهدف الرئيسي في هذا البحث في تبين ماهية خاصية التدرج في وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى، من أجل تفعيلها في حياة الدعاة والمدعوين، والاستفادة منها والعمل على تطبيقها في الواقع الملموس وجعلها كخاصية أساسية في عرض الدعوة على المدعوين، ومن بين الأهداف الفرعية نذكر:

- التعريف بخاصية التدرج وأهميتها بالنسبة للداعية والمدعو وموضوع الدعوة، والتعرف على أهم ضوابط هذه الخاصية.
- تنبيه الدعاة لضرورة الالتزام والاقتران بمنهج النبي صلى الله وسلم في التدرج باعتباره نموذجاً ناجحاً، وأسوة حسنة للدعاة من بعده.

- الاستفادة من خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى استنادا على المنهج القرآني من حيث إبلاغها للمدعوين، أو التدرج في عرض مختلف الموضوعات الدعوية، أو التدرج في الأخذ بمختلف الوسائل والأساليب والمناهج الدعوية.

- تنبيه الدعاة إلى أهمية العناية بخاصية التدرج في الدعوة، كونها الطريق الأمثل و الأيسر فهي أدعى لتحقيق التغيير والاستجابة.

- إبراز آلية تدرج الدعاة المعاصرين في الموضوع والأسلوب والوسيلة وإبلاغها لمختلف أنماط المدعوين.

- إثراء مجال الدعوة بدراسة علمية لخاصية التدرج في الدعوة، وتنبيه الدعاة لضرورة الالتزام بالتدرج في الخطاب الدعوي.

- إبراز الآثار المترتبة عن خاصية التدرج على الدعوة و المدعوين.

4. الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاطلاع على التراكمات العلمية حول الموضوع، لم نجد دراسة مستقلة ووافية تناولت خاصية التدرج في الدعوة بعمق، وإن كثرت الإشارة إلى موضوعه من قبل العلماء والدعاة والمهتمين بقضايا الدعوة على وجه العموم. وفيما يأتي عرض لأهم الدراسات في الموضوع:

- "التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم": رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير،

بقسم الدعوة والاحتساب، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، إعداد الطالب إبراهيم بن عبد الله المطلق. والرسالة مكونة من مقدمة وستة فصول وخاتمة، حيث كانت عناوين الفصول كما يأتي: الفصل الأول: التدرج في الدعوة باعتبار الموضوع، الفصل الثاني: التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة الفصل الثالث: التدرج في الدعوة باعتبار الأسلوب، الفصل الرابع: التدرج في الدعوة باعتبار المدعو الفصل الخامس: الحكمة من التدرج في الدعوة، الفصل السادس: التدرج في العصر الحاضر.

وتتفق هذه الدراسة مع دراستنا في تناولها لموضوع التدرج في الدعوة والحكمة منه، ووجه الاختلاف يكمن في تركيز هذه الدراسة على التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه منذ بعثته إلى وفاته في حين أن دراستنا ستركز أهم المحطات الدعوية التي تبرز فيها خاصية التدرج في الدعوة بصفة عامة خصوصا الجانب المنهجي منها دون التركيز الكامل على السرد التاريخي كما في الدراسة السابقة.

- "التمهيد وأثره في قبول الدعوة": رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، بقسم الدعوة والاحتساب، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، إعداد الطالبة مشاعل بنت فياض بنت مشعل العنزي. والرسالة مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وثلاث فصول وخاتمة، حيث كانت عناوين الفصول كما يأتي: الفصل الأول: أنواع التمهيد للدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية وضوابطه الفصل الثاني: وسائل وأساليب التمهيد واستخداماته في المجال الدعوي، الفصل الثالث: آثار التمهيد في قبول الدعوة.

وتتفق هذه الدراسة مع دراستنا في تناولها لمفهوم التدرج، مع ذكر بعض الشواهد على ذلك من القرآن الكريم، وذكر بعض الوسائل والأساليب التي تفيد في جانب التدرج في الدعوة. وأيضا تتفق مع دراستنا في ذكرها لبعض الآثار الايجابية والسلبية، والتي تتوافق مع موضوعنا، لوجود نوع من التقارب والتداخل بين التمهيد وخاصة التدرج؛ فكلاهما يقوم على المرحلية والتسلسل والتتابع. إلا أنها تختلف عن دراستنا في كونها تركز أساسا على التمهيد في الدعوة من ناحية تعريفه وأنواعه وأساليبه واستخداماته وآثاره في المجال الدعوي، كما أنها جعلت من خاصية التدرج كأسلوب من أساليب التمهيد للدعوة.

- "التدرج في الأساليب الدعوية وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى": رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، بقسم الدعوة والاحتساب، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من إعداد الطالب عبد الله عياد صبر العروي الجهني. والرسالة مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة. كانت عناوين الفصول كما يأتي: الفصل الأول: التدرج في ضوء القرآن والسنة والفصل الثاني: أسس التدرج وضوابطه، والفصل الثالث: أثر التدرج في الدعوة إلى الله تعالى.

وتتفق هذه الدراسة مع دراستنا في تناولها لموضوع التدرج، مع ذكر نماذجه في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم استنباط أهم الآثار الايجابية التي تسهم في نجاح العمل الدعوي، وأيضا ذكرها لأهم الضوابط التي يجب أن تراعى عند الاستعانة بخاصية التدرج. وتختلف هذه الدراسة مع دراستنا في كونها تناولت الحديث عن التدرج كأحد الأساليب الدعوية وليس كخاصية مميزة للدعوة الإسلامية، كذلك لم تتطرق هذه الدراسة لعرض أهمية خاصية التدرج بالنسبة للداعية والمدعو وموضوع الدعوة.

كما توسّعت هذه الدراسة في عرض نماذج من أساليب التدرج في دعوة بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام، في حين اقتصرنا على خاصية التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، كما لم نتطرق هذه الدراسة لذكر الآثار السلبية التي تنتج عن غياب الأخذ بخاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى.

- "التدرج بين التشريع والدعوة": كتبه يوسف محي الدين أبو هلاله، بكلية الدعوة والإعلام، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وقد بين فيه الباحث تعريف التدرج لغة واصطلاحاً، كما بين الأمور التي يجوز فيه التدرج، والأمور التي لا يجوز فيها التدرج، وهي العقيدة والأخلاق الأساسية. وكتب في التدرج في الدعوة ما لا يزيد عن عشرين صفحة، وفي التشريع ثمانية عشر صفحة تقريباً. وتتفق هذه الدراسة مع دراستنا في تناولها لموضوع التدرج، وذكره للأمور التي لا يجوز فيها التدرج، وهي التي تناولناها في دراستنا تحت عنوان ضوابط خاصية التدرج. وتختلف هذه الدراسة مع دراستنا في كونها تفصل بين التشريع والدعوة بطريقة تجعل القارئ يشعر بأن كل منها جزء منفصل عن الآخر، بينما في دراستنا اعتمدنا الربط بين التشريع والدعوة، كونهما مترابطين يكمل بعضهما بعضاً. فهما يلتقيان في نقطة مشتركة وكلاهما يمثل موضوع الدعوة الإسلامية. وبناء عليه، فإننا بذلنا ما في وسعنا لتحري الدقة والموضوعية والأمانة العلمية في عرض الآراء والأفكار، وتوظيفها خدمة لموضوع دراستنا.

5. أسباب اختيار الموضوع:

-أسباب موضوعية:

- إنّ من أهم الأسباب الموضوعية التي دفعتنا لاختيار موضوع بحثنا هذا ما يأتي:
- حاجة الداعية إلى جذب المدعوين وشد انتباههم لإيصال الموضوعات المهمة في الدعوة.
 - الحاجة إلى تنمية مهارات الداعية في جانب خاصية التدرج في الدعوة.
 - حاجة الداعية إلى إتقان التدرج عند الانتقال بين الموضوعات الدعوية.
 - حاجة الداعية إلى خطة دعوية جيدة تسهل على المدعو استيعاب المعلومة والاقتناع بها.
 - حاجة الداعية للتعرف على خطورة عواقب الدعوة ، في ظل غياب خاصية التدرج في العمل الدعوي.

-أسباب ذاتية:

- وأما من أهم الأسباب الذاتية التي دفعتنا لاختيار موضوع بحثنا هذا ما يأتي:
- رغبتنا في دراسة موضوع دعوي، لأن الدعوة إلى الله تعالى مهمة عظيمة اختارها الله تعالى لمن اصطفى من خلقه.
 - رغبتنا أن نعمل على نشر الدعوة الإسلامية والكفاح من أجلها ، كون المسلم مطالب بالتبليغ والدعوة إلى الله.
 - رغبتنا في التعمق وفهم طرق وأساليب الدعوة إلى الله، لتحقيق التأثير وإقناع المدعويين.
 - رغبتنا في تنبيه المهتمين بمجال الدعوة إلى خاصية التدرج في الدعوة، ومالها من آثار على المدعويين.

6. حدود البحث:

ينحصر موضوع هذا البحث حول خاصية التدرج في الدعوة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى ، من خلال التطرق إلى مفهومها وأهميتها و ضوابطها، ثم بيان بعض نماذجها في القرآن الكريم والسنة النبوية ، واستنباط الآثار المنهجية لهذه الخاصية في المجال الدعوي، بحيث لا يتعدى نطاق بحثنا تناول خاصية التدرج في آلية إبلاغ الدعوة، والموضوعات الدعوية ، والمناهج والوسائل والأساليب الدعوية، دون التطرق إلى الوسائل المرتبطة بالتاريخ الإسلامي مثل الغزوات أو السرايا لأنهما انحصرتا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام للظروف التي فرضها الواقع آنذاك، وهما ليستا من وسائل الدعوة الحالية، كما لا بد من الإشارة هنا بأننا ركزنا على دراسة خاصية التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فقط، دون تناول هذه الخاصية في دعوة الأنبياء عليهم السلام .

7. منهج البحث:

من المفيد لكل دراسة أن تعتمد على منهج علمي مناسب، تسعى من خلاله إلى تحقيق الأهداف الموضوعية؛ وبالنظر في مناهج البحث العلمي وجدنا أن أنسبها لهذه الدراسة:

- **المنهج الاستقرائي:** هو الذي يعتمد على تقصي وتتبعاً لنصوص والبيانات، والحقائق والجزئيات والأحداث والمواقف التي تتعلق بظاهرة معينة، ومن ثم ترتيبها وملاحظتها ودراستها ووضعها في قالب ذهني معين، في محاولة معرفة القاسم المشترك بينها، لاستخراج النتائج الكلية

والأحكام والمبادئ العامة. حيث حاولنا تتبع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية التي تتضح فيها خاصية التدرج سواء في موضوعات الدعوة الإسلامية أو طرق إبلاغها للمدعوين.

- المنهج الوصفي:

وهو الذي يعتمد على وصف وشرح وتجميع البيانات اللازمة للإجابة على التساؤلات المطروحة حول ظاهرة معينة. ووضعها في إطارها الصحيح، وتفسير الظروف المحيطة بها. حيث حاولنا تقديم وصف وشرح لجميع المعلومات حول خاصية التدرج للتعرف على أهمية هذه الخاصية، وآثارها في الجانب المنهجي والعملية من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان كيفية تسخير هذه الخاصية لاستفيد منها الداعية المعاصر منهجيا وتطبيقا في المجال الدعوي.

- المنهج الاستنباطي:

هو نتاج عملية عقلية ذهنية تبدأ بالتأمل في القضايا المسلم بها، وتنتهي باستنباط قضايا أخرى ترتبط بها وتنتج عنها، حيث حاولنا استنباط الدلالات الدعوية والإسهامات المستفادة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ومحاولة فهمها والقيام بتحليلها بالرجوع إلى كتب التفسير وكتب الدعوة، لاستنباط ضوابط خاصة التدرج لاستثمارها بطريقة تخدم المجال الدعوي الحالي.

8. خطة البحث:

وقد جاءت خطة البحث شاملة لمقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

احتوت المقدمة على تصور عام عن الموضوع وأهمية الموضوع، وطرح لإشكاليته، والأهداف المرجوة منه، والدراسات السابقة له، وأسباب اختيارنا لهذا الموضوع، ثم ذكر حدود هذا البحث والمنهج المتبع في معالجة مسأله، وأخيرا ذكر بعض الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذا البحث.

والمبحث الأول: خصصناه لبيان خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، وجعلناه في ثلاثة

مطالب:

المطلب الأول تناولنا فيه مفهوم خاصية التدرج وعلاقتها بالمصطلحات القريبة منه. وفي المطلب الثاني تطرقنا لأهمية التدرج بالنسبة للداعية والمدعو وموضوع الدعوة. والمطلب الثالث عرضنا فيه أهم ضوابط خاصية التدرج في الدعوة.

وأما المبحث الثاني: فقد تطرقنا فيه لعرض نماذج من خاصية التدرج في ضوء القرآن والسنة النبوية، وقسمنا فيه مادة البحث على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: خصصناه لعرض خاصية التدرج

في إبلاغ المدعويين. والمطلب الثاني: تناولنا فيه خاصية التدرج في موضوع الدعوة. والمطلب الثالث: سلطنا فيه الضوء على خاصية التدرج في المناهج والأساليب والوسائل الدعوية. وأما المبحث الثالث: خصصناه لذكر آثار خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى. ففي المطلب الأول: عرضنا فيها المقومات التي تعين الداعية على نجاح دعوته، والمطلب الثاني: أتينا فيه على ذكر الآثار الإيجابية لخاصية التدرج في الدعوة. وأعطينا في المطلب الثالث: لمحة عن بعض الآثار السلبية في ظل غياب خاصية التدرج في الدعوة. وجاءت خاتمة البحث لتجيب عن إشكالية البحث ولتتضمن على جملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، وأعطينا فيها مجموعة من التوصيات التي تفيد في خدمة الموضوع.

المبحث الأول

ماهية خاصة التدرج في الدعوة إلى الله تعالى

المطلب الأول: مفهوم خاصة التدرج وعلاقتها بالمصطلحات القريبة

المطلب الثاني: أهمية خاصة التدرج في الدعوة

المطلب الثالث: ضوابط خاصة التدرج

ماهية خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى

لقد تطرقنا في هذا المبحث إلى التعريف بالمصطلحات الأساسية التي يشير إليها العنوان هي: (خاصية، التدرج، الأثر، الدعوة) وذلك لإعطاء عنوان البحث نصيبه من التعريف والبيان في اللغة والاصطلاح ، كما تناولنا في المطلب الأول التعريف ببعض المصطلحات القريبة والمتداخلة مع كلمة الخاصية ، وصولاً إلى التعريف بعنوان البحث كاملاً ، أما المطلب الثاني فقد جاء موضحاً لأهمية خاصية التدرج وأثرها على الداعية والمدعو و موضوع الدعوة ، وذلك لأن أهمية خاصية التدرج في الدعوة تنبثق أساساً من أهمية الدعوة نفسها، فالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة واجبة على المسلمين، قال الله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، أما المطلب الثالث فقد خصصناه للحديث عن الضوابط التي يجب على الداعية مراعاتها عند استخدام الخاصية التدرج في الدعوة ، لأن كل داعية مطالب بأن يكون على علم بأصول الدين وفروعه وضوابطه المنطلقة من القواعد الإسلامية الثابتة قبل شروعه في العمل الدعوي، كونها تضيء على العمل الدعوي مزيداً من والانضباط والتنظيم والتأثير، سائلين المولى أن يوفقنا في عرض هذا المبحث على أحسن صورة .

المطلب الأول: مفهوم خاصية التدرج وعلاقتها بالمصطلحات القريبة

1 - الخاصية لغة: "خص الشيء خصوصاً نقيض عم، والخصوص أي أثره به على غيره وكذا لنفسه اختاره، فهو خاص وهي خاصة وجمعها خواص، ويقال: تخصص أي انفراد وصار خاصاً ويقال خصصه وتخصص به، أي انفراد به، ويقال تخصص في علم كذا أي أنه قصر عليه بحثه وجهده والخاصة خلاف العامة، وهي ما يخص الشيء ويميزه، وخاصية الشيء ما يختص به دون غيره وما يميزه والخصيصة هي الصفة التي تميز الشيء وتحدده وخصوصية الشيء خاصيته".¹ ولا بد من الإشارة أنه لم يذكر لفظ الخاصية في القرآن الكريم، وإنما ورد ذكر يختص، الخاصة، والخصاصة في العديد من الآيات القرآنية نذكر منها ما يأتي:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105].

¹ - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط3، القاهرة، دار الدعوة، 2004 م، ج1، ص 238.

قيل "يختصّ: أي يفرد بها، وضد الاختصاص: الاشتراك. أي يفرد، يقل: اختص زيد بكذا، واختصصته به، إذ يصح والله يفرد برحمته من يشاء".¹ قال الطبري² «والله يختص من يشاء بنبوته ورسالته، و"اختصاصه" إياهم بها، إفرادهم بها دون غيرهم من خلقه».³

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 25].

وقال أيضا: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 09]. والخصاصة: وتعني الحاجة والفقر والخصاصة مصدر، وهي أيضا اسم وهو كل ما تخللته بيصرك كالفرجة في الحائط، ومنه خصاص الأصابع وهي الفرج التي بينها⁴. ومن هنا يتضح لنا أن المدلول اللغوي لكلمة الخاصية يأخذ معنيان هما: الانفراد وما يميز الشيء. وهذا يتفق مبدئيا مع المراد من معنى الخاصية الذي نقصده في البحث.

2 - الخاصية اصطلاحا: "هي الصفة التي تلازم الشيء وتحدده وتميزه. فإذا قلنا: إن التدرج خاصية من الخصائص العامة للدعوة؛ فإن المراد هو أن التدرج إحدى الصفات المميزة والملازمة للدعوة نفسها".⁵

3 - المصطلحات القريبة من مصطلح الخاصية: لعنا نلقي الضوء على بعض المصطلحات القريبة أو المتداخلة لمعنى كلمة الخاصية، والتي قد ترد في الكثير من الدراسات المشابهة في مجال الدعوة والتي من بينها: المنهج، الأسلوب، والطريقة وغيرها من المرادفات القريبة نوع ما، والتي لا بد لنا من التفريق بينها وبين مصطلح الخاصية، وضرورة تبيين سبب تفضيلنا لهذا المصطلح على بقية المصطلحات، حيث سنعرف باختصار كلا من هذه المرادفات لغة واصطلاحا على النحو الآتي:

¹ - أبو حيان محمد بن حيان، تفسير البحر المحيط، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ، ص454.

² - الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب، ولد بطبرستان، سنة (224-310هـ) إمام المفسرين، ترك عدة مؤلفات منها: تاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار، توفي في بغداد. ينظر: عبد الحي بن أحمد العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط1، دمشق، دار ابن كثير، 1406هـ، ج29، ص1.

³ - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، ج22، ص471.

⁴ - شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، ط1، القاهرة، دار الصحابة، 1992م، ص413.

⁵ - أمين يوسف الدميري، خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 2004م، ص12.

أ - **المنهج**: يقال في اللغة نَهَجَ وأَنْهَجَ أي وضح واستبان وصار نَهَجًا واضحًا بينًا¹. ويعني الطريق الواضح.² أما في الاصطلاح فإننا نجد بعض الباحثين يذهبون إلى أن المراد بالمنهج "الخطبة أو التخطيط اللازم لشيء ما"³، "وهو كذلك نظم الدعوة، وخططها المرسومة لها"⁴؛ فيقال نظم الدعوة، ويقصد بها: المناهج الأساسية والرئيسية في الدعوة والتبليغ.

ب - **الأسلوب**: يعني في اللغة الطريق والمذهب والوجه⁵، أما في الاصطلاح هو طريقة التعبير أو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ، وتأليفها لتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير.⁶

ج - **الطريقة**: "لها معاني واسعة في اللغة منها المسلك والمذهب والسيارة"⁷، و"السنة والأمة والشريعة والهدى والسبيل، وأما في الاصطلاح: تعني المنهج التربوي والسلوكي الذي تكتسب به الأخلاق الفاضلة ويتخلص به من الأخلاق الذميمة، ويتوصل به إلى إرضاء الله تعالى"⁸.

تبين لنا مما سبق أن لفظة المنهج يصح إطلاقها على المناهج الرئيسة في الدعوة والتي أهمها المنهج العاطفي، والمنهج العقلي، والمنهج الحسي، وذلك لتوافقها مع مرتكزات النفس البشرية: القلب والعقل والحس.⁹ في حين أن كل واحد من هذه المناهج الثلاثة يتضمن جملة من الأساليب الدعوية المناسبة وطبيعة كل منهج، ومثال ذلك كأن نقول إن أسلوب الجدل والمناظرة من أساليب المنهج العقلي. وأما لفظة الطريقة فقد شاع إطلاقها على المذاهب والفرق الدينية.

ويتضح لنا مما تقدم بأن لفظة الخاصية هي اللفظة المناسبة للتعبير عن صفة التدرج في الدعوة لأنها أوفى بالمقصود بما نحن بصدد البحث عنه، كونها خاصة ملازمة ومرافقة للمناهج الدعوية كلها فالأصل في المناهج أن تكون متناسبة مع من وضعت لهم وذلك بحسب الأعمار والأحوال

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ط3، بيروت، دار الصادر، 1414هـ، ج 2، ص383.

² - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص957.

³ علي جريشة، مناهج الدعوة أساليبها، ط1، مصر، دار الوفاء، 1998م، ص16.

⁴ - محمد أبو الفتوح البيانوني، مدخل إلى علم الدعوة، ط1، المملكة العربية السعودية، مؤسسة الرسالة، 2010م، ص4.

⁵ - المصدر نفسه، ابن منظور، لسان العرب، ط1، ج2، ص178.

⁶ - أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط7، القاهرة، مكتبة النهضة، 1396، ص44.

⁷ - المصدر نفسه، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص556.

⁸ - مخلف يحيى العلي الحديفي، إرشاد الرفيق إلى كيفية سلوك الطريق، ط1، القاهرة، دار النور العلية، 2012م، ص22.

⁹ - محمد أبو الفتوح البيانوني، بصائر دعوية في جانب مناهج الدعوة وأساليبها، ط2، مصر، دار السلام، 2006م، ص63.

والمستويات، ومن الجوانب المهمة التي يجب على الدعاة مراعاتها؛ حتى يكونوا عوناً للناس لامثال لأحكام هذا الدين تطبيقه في حياتهم. ولا بد من الإشارة إلى أن خاصية التدرج والانضباط والاستمرارية تعتبر من أهم الخصائص العامة المميزة لمناهج الدعوة ككل، كونها تنبثق من خصائص الدعوة الإسلامية نفسها.

4 - التدرج لغة: هو المشي مشية الصاعد في الدَرَج، والمَدْرَج: هو المسلك والمذهب ومدرج النمل مَدْبُه. ويقال استَدْرَجَه: أي رقاها من درجة إلى درجة، ويقال: رجع فلان درجه وأدراجه رجع من حيث جاء ورجع في الأمر الذي أتى لأجله.¹ ولم ترد لفظة التدرج في القرآن الكريم وإنما وردت لفظتي: الدرجة أو الدرجات والاستدرج في الكثير من الآيات والتي سنذكر منها ما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: 95].

والدَرَجَةُ: "هي المرقاة والجمع الدرج، والدرجة واحدتها الدرجات، وهي الطبقات من المراتب، ودرجات الجنة منازل أرفع من المنازل".²

قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182].

الاستِدْرَاجُ: "استفعال من الدَرَج، بمعنى النقل درجة بعد درجة من سفلى إلى علو، فيكون استصعادا، أو بالعكس؛ فيكون استنزالا".³ قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]. وخلاصة القول أن المدلول اللغوي لكلمة التدرج، يأخذ ثلاثة معان تتوافق كلها مع المعنى المراد الذي نحن بصدد البحث عنه وهي: الأخذ في الحركة شيئا فشيئا. أو الصعود في المراتب والترقي في المنازل أو التقدم بالشخص خطوة خطوة، والرفق به.

5 - التدرج اصطلاحا: "هو الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى متقدمة، للبلوغ إلى الغاية

المنشودة، بطرق مشروعة مخصوصة".⁴ أو هي "خاصية من أهم الخصائص التي تيسر قبول دين

¹ - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ص 277.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 269.

³ - محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ط 1، لبنان، دار طوق النجاة، 1421 هـ ج 10، ص 272.

⁴ - يوسف محي الدين أبو هلاله، التدرج بين التشريع والدعوة، ط 1، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة 1412 هـ، ص 1.

الإسلام، وتحمل تكاليفه، وتطبيقه في الواقع، ومعناها التقدم خطوة خطوة، والبدء بالأهم فالمهم للترقي إلى أعلى المراتب¹.

والتدرج الذي نقصده في بحثنا هذا: هو أن يتقدم الداعية بالمدعو شيئاً فشيئاً، للبلوغ به إلى الغاية المنشودة، وهي تكوين فرد مسلم وإعداده روحياً ومعنوياً لحمل الرسالة الإسلامية وتطبيقها في الحياة، وفق الطرق المشروعة والمستمدة من القرآن الكريم والسيرة النبوية في الدعوة إلى الله تعالى.

6 – الأثر لغة: "الأثر هو العلامة، فيقال: جاء في أثره أي: في عقبه، وجمعها؛ آثار وأثر². كما أن الأثر: "هو بقية الشيء فيقال: أثر فيه تأثيراً، أي ترك فيه أثراً".³ وأثر الشيء: " حصول ما يدل على وجوده".⁴ وقد ورد ذكر الأثر في كتاب الله في العديد من الآيات، والتي سنذكر منها ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح : 29] ، وقال تعالى: ﴿وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر : 17] ، وقوله عز وجل: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم : 50].

7 – الأثر اصطلاحاً: ذكر الجرجاني⁵ معنى الأثر، فبين أن الأثر له ثلاثة معان «أولها معنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني: معنى العلامة، والثالث: معنى الجزء»⁶.

قال الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح : 29] «علامتهم في وجوههم من أثر السجود في صلاتهم»⁷.

1- أمين يوسف الدميري، خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله، ص 14.

2- إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ص 5.

3- محمد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط 8، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1426هـ، ص 1391.

4- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط 1، دمشق، دار القلم، 1416، ص 341.

5- الجرجاني: علي بن عبد العزيز الجرجاني. ولد بجرجان، سنة (322هـ - 392هـ). عالم موسوعي وأديب ناقد وقاضي، من أعلام القرن الرابع للهجرة، من مؤلفاته: تفسير القرآن المجيد، ينظر: عبد الحي بن أحمد العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط 1، دمشق، دار ابن كثير، 1406هـ، ج 4، ص 353.

6- علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1414هـ، ص 9.

7- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 22، ص 261.

والأثر الذي نقصده في هذه البحث يدور حول هذه المعاني اللغوية والاصطلاحية؛ فيمكننا تلخيص معنى كلمة أثر في الأثر الدعوي للتدرج: هو التغيرات المتوقع حدوثها في سلوك المدعو، ومدى استجاباته من خلال استخدام الداعية لخاصية التدرج الدعوة إلى الله تعالى .

8 - الدعوة لغة: هي مصدر للفعل الثلاثي دعا، يدعو ، دعوة ولكلمة الدعوة معان عدة

نذكر منها ما يأتي : السؤال والطلب وتأت كذلك بمعنى التسمية والنداء معا، قال تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:110]، و قال أيضا: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾ [البقرة:221]. أي يدعو وينادي ويأمر؛ فالدعوة ما يدعى إليه من اجتماع أو طعام أو شراب، الحث على إتباع نحلة أو مذهب أو نحو ذلك.¹

ومن المدلول اللغوي لكلمة الدعوة يتضح بأنه كان يعبر بها في بد الأمر على شيء حسي وهو الطعام الذي يدل على صفة الكرم الذي اشتهرت به الشخصية العربية، ثم أصبحت فيما بعد تطلق على شيء معنوي في قمة السمو والنبل ألا وهو الدعوة إلى غذاء الروح والعقل وتزكية النفس وذلك لأن الداعية إلى الله أو المنادي للصلاة وغيرها يقدمان للمدعو غذاء روحيا يغذي العقل والروح.

9 - الدعوة اصطلاحا: عرّفت الدعوة بتعريفات كثيرة من قبل الكُتّاب والدعاة المعاصرين

نقتصر منها على التعريفات الآتية:

تعريف الأستاذ أبو المجد نوفل بقوله: «إن الدعوة هي قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان، بترغيب الناس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة»²، وقد عرفت أيضا: "بأنها برنامج يقدم في أضوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليصروا الغاية من محياهم ويستكشفوا معالم الطريق التي يجعلهم راشدين"³. كما عرفت بأنها النداء للحق؛ أي لله سبحانه وتعالى ليعبدوه . أما التعريف الشامل للدعوة "هي تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة"⁴. وبناء على ما سبق من تعريفات لغوية واصطلاحية يكون

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج14، 257.

² - أبو المجد السيد نوفل، الدعوة إلى الله، خصائصها ومقوماتها ومناهجها، ط1، القاهرة، مكتبة الحضارة العربية، (د.ت)، ص18.

³ - محمد الغزالي، مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، ط6، مصر، دار النهضة، 2005م، ص255.

⁴ - محمد أو الفتاح البيانوني، مدخل إلى علم الدعوة، ص234.

التعريف الإجرائي لخاصية التدرج وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى هي: البدء بتقديم الأمور المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، ثم الانتقال إلى غيرها شيئاً فشيئاً حسبما ما تقتضيه ظروف المدعوين وأحوالهم بغية الوصول إلى الغاية المنشودة بطرق مشروعة.

المطلب الثاني: أهمية خاصية التدرج في الدعوة

إنّ أول خطوة نحو تحكيم وتطبيق شرع الله عز وجل في واقع الحياة هي بالدعوة إلى الله تعالى، وتبليغ شريعته، فالدارس لسيرة دعوة النبي صلى الله عليه و سلم؛ يجد أنه قد تدرج في عرض دعوته على الناس منذ بعثته إلى أن توفاه المولى عز وجل، وكان هذا التدرج في إبلاغها للمدعوين، وفي موضوع الدعوة للمدعوين، وفي استعانتة صلى الله عليه وسلم بمختلف المناهج والوسائل والأساليب الدعوية. ومن هنا جاءت أهمية خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، والتي تعتبر من أهم الخصائص المسيرة للمناهج الدعوية كونها تيسر قبول دين الإسلام وتحمل تكاليفه وتطبيقه، وتسهم في تجسيده في الواقع وفي هذا المطلب سنعرض بحول الله أهمية خاصية التدرج بالنسبة للداعي، والمدعو، وموضوع الدعوة.

أولاً: أهمية التدرج بالنسبة للداعية

إن العمل بالدعوة إلى الله تعالى يقتضي تطوير الإنسان وتهذيبه حتى يصلح لحمل الأمانة، وتحقيق الخلافة، مما يتطلب من الدعاة إلى الله تعالى استثمار الأساليب والخصائص الدعوية الإسلامية خدمة للمدعوين من أجل حصول التأثير والاستجابة، و لما كانت خاصية التدرج من خصائص الدعوة إلى الله تعالى كان حري بالدعاة أن يستثمروا هذه الخاصية في مجال الدعوة لتساعدهم على بناء خير أمة أخرجت للناس، فلا تحقيق لشريعة الإسلام إلا بتربية النفس والجيل والمتجمع على الإيمان بالله، والإخلاص له، لتحقيق أفضل النتائج بإذن الله تعالى¹. وتبرز أهمية خاصية التدرج بالنسبة إلى الداعية في النقاط الآتية:

1 - التدرج في بناء شخصية الداعية، وأوضح مثال على ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، "حيث بدأ الوحي بإعدادة فكره وعقله بأول آية من القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [علق : 01]، ثم إعداد روحه ونفسه في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل : 4-1]، ثم

¹ - عبد الرحمن النحولاي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها والمدرسة والمجتمع، ط25، دار الفكر، دمشق، 1428هـ، ص20.

تحميله الرسالة ليكون مستعداً للدعوة والتبليغ في قوله تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:05] ثم يأمره الله سبحانه وتعالى بالصبر في سبيل تبليغ دعوته للناس¹. في قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر:07]، وكان هذا هو نهج النبي صلى الله عليه في إعداد أصحابه ليكونوا دعاة من بعده ويحملوا على عاتقهم واجب البلاغ والبيان.

2 - أن خاصية التدرج تعين الداعية على تهيئة المدعويين لقبول الدعوة والامتثال لأحكامها كما أنها تهيئ الظروف والأجواء المناسبة لتطبيق الأحكام الشرعية؛ مما يضمن استمرارها وتطبيقها عملياً للتعزيز فرص الاستجابة وقبول الدعوة الإسلامية .

3 - أن خاصية التدرج تستبعد سمات الارتجالية والعشوائية التي يمكن أن يقع فيها الداعية ويحول عمل الداعية إلى نسق من الخطوات المنظمة المترابطة، لتحقيق الأهداف الدعوية. فمثلاً حينما يتدرج الداعية باستخدام حدث معاصر، يكون بذلك قد أثر على أسماع المدعويين وعقولهم بما يشغلهم في الوقت الحالي؛ وتهيئتهم لنقلهم إلى عرض موضوع دعوي مناسب، ويكون بذلك قد أجاد استثمار الموقف ليتدرج بالمدعويين لتحقيق أهدافه الدعوية، بعيداً عن العشوائية والتخبط.²

4 - "أنّ التدرج يجمع بين الواقعية والمثالية وهذا يظهر في واقع الناس وتعاملاتهم، فالتدرج يستلزم وجود رؤية واضحة نحو الأهداف والغايات التي تسعى لتحقيقها، وهو في نفس الوقت يقتضي مراعاة المرحلة التي نعيشها، واتخاذ الوسائل والتدابير التي تنتقل بنا من مرحلة إلى أخرى نحو الهدف المنشود"³.

5 - أن التدرج يبدأ من الأهم إلى المهم؛ فمن واقعية الداعية ألا يتحدث في قضايا لم تتأسس ركائزها في قلوب الناس، لأن هذا سيجعل المجتمعات لا تستطيع بحماسة حراكه الدعوي، ومثال أن يتحدث الداعية عن الواضحات الجليات قبل الغوامض والمتشابهات، وأن يقول الحق في

¹ - جهاد داود سليمان شحادة، التدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، قسم الفقه والتشريع وأصوله. جامعة القدس فلسطين، 2016م، ص9.

² - مشاعل بن مشعل العنزي، التمهيد وأثره في قبول الدعوة، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، جامعة الإمام أحمد بن سعود الإسلامية، 1437 هـ، المملكة العربية السعودية، ص32.

³ - ماهر حامد الحولي، التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية ومظاهره في قطاع غزة، رسالة ماجستير، قسم الفقه وأصوله، الجامعة الإسلامية، فلسطين، 2010م، ص12.

مجتمع الخلق حسب ما تقتضيه المصلحة وتطبيقه عقول الناس، وأن يبدأ بالأهم فالأهم خاصة في علاج الأمراض الطارئة في المجتمع فيتدرج من الأشد إلى الأخر¹.

6 - أن التدرج مظهر من مظاهر الرفق والتأني و يؤيد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَعْضُوا إِلَى نَفْسِكُمْ عِبَادَةَ اللَّهِ جَلًّا وَعَزًّا، فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَتْ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»² فقله صلى الله عليه وسلم : أوغلوا فيه برفق أي: ادخلوا فيه برفق وتؤدة. ومن مظاهر الرفق والتأني التدرج في الامتثال بحسب الاستطاعة ؛ بحيث كلما قوي الشخص على العمل وسهل عليه، انتقل إلى ما فوقه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا»³ وهذا أمر بالاقتصاد في الطاعة والعبادة والتزود منها شيئاً فشيئاً، بروية وتأني حتى يصل الإنسان لغايته ومبتغاه.⁴

ثانياً: أهمية التدرج بالنسبة للمدعوين

إن المدعوين هم المحور الجوهرى في الدعوة إلى الله تعالى، فلم تشرع الدعوة إلا لأجلهم، ولهذا تنوعت الوسائل والأساليب الدعوية في بيان وعرض رسالة الإسلام، وجُدد الخطاب الدعوي وطُور ومن أجل الوصول إلى المدعوين وإقناعهم بالرسالة الإسلامية، ولهذا نجد بأن كل المناهج الدعوية قد تميزت بخاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى كونها تهيأ المدعوين لسماع الدعوة، وتمهيدهم فكرياً لقبولها، كما أن هذه الخاصية تيسر ربط المدعوين بالدعوة عن طريق مراعاة قدراتهم الفكرية وظروفهم البيئية ، من أجل أن تؤدي الدعوة الإسلامية دورها في خدمة تحقيق الأهداف وفق رؤية دعوية واضحة . وتتضح أهمية خاصية التدرج بالمدعوين في النقاط الآتية:

1 - أن خاصية التدرج تسهّل قبول المدعوين للدعوة، فلاشك أن اعتقاد المدعوين ومكانتهم ومجتمعاتهم وبيئتهم كلها من الأمور التي تتحكم في الداعية لاختيار طريقة المناسبة

1 - خباب الحمد، لوازم دعوية حول طبيعة الداعية وهويته وعدته (3/4)، موقع المسلم، 16 ربيع الأول 1438، مأخوذ يوم 2020/02/22، الساعة 7:37، (http://www.almuslim.ent).

2- أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك، كتاب الزهد والرفائق، باب: فضل ذكر الله عز وجل، رقم الحديث: 1334 تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص 469.

3- البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث 6463، ط 1، بيروت، دار طوق النجاة 1422هـ، ج 22، ص 331.

4- ماهر حامد الحولي، التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية ومظاهره في قطاع غزة، ص 12.

لدعوتهم، والتدرج معهم في الخطاب،" و لهذا ينبغي للداعية أن يعلم أن المدعوين أصناف وأقسام: فمنهم الملحد، ومنهم المشرك و الوثني، ومنهم اليهودي، ومنهم النصراني، ومنهم المنافق، ومنهم المسلم الذي يحتاج إلى التربية والتعليم، ومنهم المسلم العاصي. ثم أنهم أيضا مختلفون في قدراتهم العقلية والعلمية والصحية، ومراكزهم الاجتماعية: فهذا مثقف، وهذا أُمي وهذا رئيس، وهذا مرؤوس، وهذا غني، وهذا فقير، وهذا عربي وهذا أعجمي؛ فينبغي للداعية أن يكون كالطبيب الحاذق الحكيم الذي يشخص المرض، ويعرف الداء ويحدده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض، ومرضه، ويتدرج معه بحسب حاله وواقعه¹.

2- إن الله تعالى قد كلف الإنسان بما يستطيع ، فالتكليف مقيد بالقدرة والاستطاعة، والوسع و الطاقة فلا تكلف نفس إلا وسعها، وقد قرر الله سبحانه وتعالى ذلك المبدأ في كثير من الآيات قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: 16] ، وقال أيضا : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: 286] ، كما قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 28] وقال أيضا : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الأنعام: 119]، وقال أيضا : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: 145] فالحجة إنما تقوم على الإنسان إذا كان مستطيعا للعمل و عالما به، ولما كانت طبيعة الناس لا تتحمل هذه الشرائع جملة واحدة ؛ اقتضت الحكمة والمصلحة الشرعية أن يتدرج الداعية في تعليمها للناس وتطبيقها حتى تؤتي الدعوة الإسلامية ثمارها، فيعم الصلاح في المجتمع.²

3- " أن التدرج وسيلة ناجعة لعلاج العادات السيئة المستحكمة في المجتمع فهناك بعض العادات السيئة التي إذا ألفتها الإنسان واعتماد عليها استحكمت في نفسه، لا يمكن تغييرها إلا بنوع مخصوص من أنواع العلاج، وهو جعل الإنسان يتخلى عنها رويدا رويدا فقد جاء الإسلام إلى مكة، وكان قد استحكم في أهلها عادات وأعراف لم يكن من السهل نهيهم عنها جملة واحدة؛ لذلك تدرج بهم حتى تخلصوا منها. فكان التدرج هو العلاج الناجع لتلك الأمراض، وكان ذلك واضحا في مسألة التحريم الخمر، وكيف كانت مستحكمة في العرب، بل وكانت جزءا من حياتهم يشربونها في الصباح

¹ - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ط9، بغداد، مؤسسة الرسالة، 1421هـ، ج1، ص379.

² - ماهر حامد الحولي، التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية ومظاهره في قطاع غزة، ص 11.

والمساء، لا يستطيعون تركها أبداً وكانت مصدر رزق للكثير منهم، وتلك الحالة التي وصل إليها العرب هي ما تسمى في الاصطلاح المعاصر بالإدمان. ومن آثار ذلك الإدمان أن المدمن لا يستطيع أن يتخلى عن إدمانه فجأة دفعة واحدة؛ لأن خلايا جسمه تعودت عليه، لا تتحمل تركه بسرعة، حيث إن تركه فجأة يؤدي إلى اختلال في حياته، وهكذا كانت طبيعة حالة العرب في ذلك الوقت لا تسمح بالتخلي عن شرب الخمر دفعة واحدة؛ لأن في ذلك عسراً شديداً، قد يخرج عن استطاعة بعضهم أو أغلبهم؛ فاقترضت الحكمة الإلهية أن يتدرج بهم القرآن شيئاً فشيئاً لبيان حكمة الدين و اكتماله"¹.

4 - أن خاصية التدرج هي علاج للنفور؛ ذلك لأن التكليف بالكثرة مما لا يُطيقه الناس ولا يتحملونه، ويكون من شأنه النفور والرفض، أما أخذ الناس بالرفق، وتجنب الطفرات، وتحاشي التصادم بالمألوف، فإنما هو علاج للنفور.²

ثالثاً: أهمية التدرج بالنسبة للموضوع الدعوة

اقتضت الحكمة الإلهية أن تنطلق الدعوة الإسلامية على هيئة جرعات، ورشقات مناسبة في أوقات ملائمة بصورة متدرجة ومنسجمة مع فطر البشر ومتفقة مع سنن الكون ونواميس الحياة، وفق منهج رباني محكم و شامل للعموم البشر يراعي واقعهم وخصائصهم الفردية والاجتماعية والعقلية من التشبع بالمروروث، ومشقة الانقلاب الفوري من طور إلى طور آخر منافي له في السلوك، تفادياً لحدوث زلزلة في الحياة الاجتماعية والفكرية؛ فكان سبيل الدعوة الإسلامية إلى ذلك التأسيس التدريجي للشريعة الإسلامية، والتضييق المرحلي على روافد الجاهلية ومن ثم ردمها كلياً، ومما تقدم يمكننا تلخيص أهمية خاصية التدرج في الدعوة في النقاط الآتية :

1 - أن التدرج سنة كونية من سنن الله تعالى في الخلق، والمتأمل في خلق هذا الكون وسيره يجد هذه السنة واضحة جلية، " فقد خلق الله تعالى السموات والأرض في ستة أيام، وهو سبحانه قادر أن يخلقها في لحظة واحدة، وكذلك خلق الإنسان، فأدم عليه السلام خلقه على مراحل متدرجة تراب، ثم طين، ثم التسوية، ثم النفخ، بدأ الله تعالى ذلك بالنطفة، ثم العلقة، ثم مراحل أخرى

¹ - المرجع السابق، ص12.

² - أمين الدميري، "خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله"، مكتبة الألوكة، نشر يوم: 2014/02/19، مأخوذ يوم: 03/8/2020 سا 10:00 صباحاً، (www.alukah.net).

متدرجة حتى صار خلقا آخر؛ ليعلمنا الله تعالى الأخذ بسنة التدرج في كل شيء " ¹، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]. وكذلك المتأمل لتعاقب الليل والنهار يجد أن الليل والنهار يذهبان بالتدرج، ثم يأتيان بالتدرج قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ﴾ [يس: 37]. فلا تكون الشمس في منتصف السماء ثم تحتجب فجأة ثم يأتي ظلام الليل الدامس، بل تحتجب الشمس رويدا رويدا، ثم يدخل الليل رويدا رويدا، وكذلك لا يكون الليل، ثم فجأة تشرق الشمس مرسله أشعتها وحرارتها، بل تطلع الشمس شيئا فشيئا مرسله حرارتها رويدا رويدا ². قال الله تعالى ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: 44]، " أي يصرفهما بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما، وزيادة الآخر شيئا فشيئا أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد، والظلمة والنور. والمراد بالأبصار هنا: البصائر والعقول، فهي التي تعتبر وتتعظ" ³.

والمتأمل للنباتات كذلك لا يجد النبات يخرج ويثمر فجأة، ولكنه ينمو في أطوار متدرجة

قال الله تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 21]، وكل متفكر في مخلوقات الله تعالى يجد هذه الحكمة الظاهرة؛ فمن أراد أن يغير أو يصلح يجب عليه أن يتبع هذه السنة، فيتدبر أولا الواقع الذي يريد تغييره، فإن كانت طبيعته تقتضي التدرج تدرج معه، لأنه إذا لم يتدرج؛ فإنه يخالف سنة الله التي جبل عليها الخلق ⁴. قال عبد الرحمن حسن حبنكة:

¹ - أمين الدميري، "خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله"، مكتبة الألوكة، نشر يوم: 2014 / 02 / 19، مأخوذ يوم: 03 / 8 / 2020 سا 10:10 صباحا، (www.alukah.net).

² - ماهر حامد الحولي، التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية ومظاهره في قطاع غزة، ص 10 - 11.

³ - جنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط: 1، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1973م ج 6 ص 1444.

⁴ - المرجع نفسه، ماهر حامد الحولي، التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية ومظاهره في قطاع غزة، ص 10 - 11.

« ورغبنا بالإيجاز التام السريع على خلاف طبائع الأشياء معاكسة لسنة الله في كونه»¹؛ فالداعية عليه ألا يستعجل الثمار؛ لأن الثمار لا تنضج وتجنح إلا إذا اكتمل نماء النبت واستوى على سوقه.

2 - أن خاصية التدرج تتوافق مع الفطرة السليمة، "فلو أن الله تعالى نزل كتابه جملة واحدة والشرائع دفعة واحدة، وطالبهم بالتزامها كلها في الحال، لما قبل ذلك إلا النادر القليل من الناس، ولكن الرب الرحيم والإله الحكيم، العليم بأحوال الناس، خاطبهم بما يوافق فطرتهم، فأنزل كتابه منجماً مفرقاً وألزم بالتكاليف شيئاً فشيئاً، وسلك بهم سبيل التدرج، وأخذهم بالرفق"؛ فالتدرج هو الطريق لإصلاح النفوس الجاحمة؛ ليساعدها على تغيير عاداتها ومألوفاتها.²

3 - أن خاصية التدرج مرتكز أساسي من مرتكزات الخطاب الدعوي، وهو إحدى خصائص الهامة للمنهج الدعوي لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولدعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاصة؛ ولهذا نجد أن الأنبياء جميعاً دعوا أقوامهم وسلوكوا معهم سبيل التدرج، فبدؤوا بالدعوة إلى أهم الأمور وأعظمها، وهي الدعوة إلى التوحيد، وجادلوا أقوامهم بالدين والرفق، ثم تدرجوا معهم شيئاً فشيئاً، وتحملوا منهم الأذى والتكذيب، حتى قضى الله تعالى بينهم وبين أقوامهم.

4 - أن التدرج خاصية ميزت آخر الكتب المنزلة، وهو القرآن الكريم، فلم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة واحدة، ولكنه نزل منجماً، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان: 32]، فقد نزلت آيات التوحيد أولاً بمكة، ثم كان التشريع بالمدينة المنورة، وقد تم فرض التشريعات على مراحل متدرجة، وهذه سنة الله تعالى في خلقه وأمره.³

5 - إن خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى هي خاصية تؤكد على أن الإسلام منظومة متكاملة يتصل بعضها ببعض، ويدعم بعضها بعضاً لتحقيق الهدف الأسمى وهو تبليغ رسالة الإسلام

¹ - عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط1، بيروت، دار القلم، (د.ت)، ص185.

² - أمين الدميري، "خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله"، مكتبة الألوكة، نشر يوم: 2014 / 02 / 19، مأخوذ يوم: 2020 / 03 / 8، صباها، (www.alukah.net).

³ - المرجع نفسه، أمين الدميري، "خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله"، مكتبة الألوكة، نشر يوم: 2014 / 02 / 19، مأخوذ يوم: 2020 / 03 / 8، صباها، (www.alukah.net).

للناس وتعريفهم بخالقهم، فمهمة التبليغ في الدعوة عملية مركبة وفق أسس وقواعد محددة، وليست أداة عابرة تعتمد على الروتينية أو العشوائية.¹

6- " أن خاصية التدرج هي من مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده، والتمهيد عليهم في التكليف الشرعية؛ فهي بمثابة ترويض للنفوس على قبول أحكام الله والرفق بهم، والتمهل في استئصال العادات القبيحة والمغروسة في النفوس عبر قرون طويلة تلتطفأ بالناس وتخفيفاً عنهم، وتماشياً مع الفطرة الإنسانية".²

المطلب الثالث: ضوابط خاصية التدرج

إن التدرج بوصفه خاصية مهمة من خصائص الدعوة والتبليغ والإصلاح، ضبطه الدارسون بجملة من الضوابط التي تقيد إطلاقه وتجعله مقبولاً، بعيداً عن الفوضى والاضطراب والتحكم بالأشياء بلا دليل أو أصول يرجع إليها في الأخذ به. والمقصود بضوابط خاصية التدرج: مجموعة المعايير والقواعد التي حددها العلماء، والتي يجب أن يراعيها الداعية عند تدرجه بالمدعويين مخافة الوقوع في المحاذير الشرعية.

1- وضوح الهدف والغاية:

إنّ الغاية من خاصية التدرج هي الوصول إلى التطبيق الكامل للشرعة الإسلامية ، وهذا يحتم على الدعاة استصحاب رؤية شاملة وكاملة لإحكام الشريعة الإسلامية أثناء عملية التدرج بالمدعويين من خلال القيام بتحديد الأهداف بدقة وبصيرة، وتحديد الوسائل الموصلة إليها بعلم وتخطيط دقيق وتحديد المراحل اللازمة للوصول إلى الأهداف بوعي وصدق، بحيث لا يكون استخدام خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى عذراً لكل من أراد أن يتجاوز النصوص الشرعية؛ فيُحلل أو يجرم أو يخالف النصوص الشرعية بحجة أنه يتدرج مع المدعو؛ بل يجب أن يتدرج مع المدعو في حدود ما قرره الشرع الإسلامي، ذلك أن خاصية التدرج في التبليغ والدعوة لا تعني التسوية وتأجيل التنفيذ، للإبطاء من إقامة أحكام الله، وتطبيق شرعه.³

¹ بسوني محمد نخيلة، "جمالية الإسلام من خلال الوسائل والأساليب الدعوية وأثرها في الدعوة المعاصرة"، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، العدد 3، 2017، عمادة البحث العملي وضمان الجودة، الجامعة الأردنية، ص 221.

² عبد المجيد خلادي، "مقاصد الرحمة في التشريع الإسلامي"، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، 1437هـ، ص 267.

³ جهاد داود سليمان شحادة، التدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية، ص 149.

2 - مراعاة أحوال المدعويين:

إنّ من ضوابط خاصية التدرج ودواعيها مراعاة حال المخاطب، ومستوى فهمه، واستيعابه للأمور، وبخاصة أن الناس مختلفون، فإن من الناس من يكون حي القلب، تام الفطرة، ومنهم من يكون عكس ذلك.

" ومثال ذلك أن على الداعية أن يراعي في أهل الريف محدودية ثقافتهم، وضعف مستواهم التعليمي، مما يجعل الداعية يستخدم من العبارات ما يتناسب مع قدراتهم الذهنية ، وأيضاً فالمتعلمون أنفسهم تتفاوت درجاتهم .فالحاصل أن الداعية والواعظ والمعلم يجب عليه أن يراعي أحوال الحاضرين وأحوال الناس، ويعطيهم ما يحتاجون إليه من المسائل، ولا يلقي عليهم المسائل الغريبة التي لم يتوصلوا إليها، ولهذا لا ينبغي أن يطرح على العوام بعض أحاديث الصفات و الحديث عن مسائل القضاء والقدر التي لا تصل إليها أفهامهم، ونحو ذلك النصوص التي قد تبدو للجاهل وبادي الرأي متعارضة ، لأنها قد تكون سبب في فتنة الجاهل والعامي".¹

فعن علي رضي الله عنه قال: «حَدَّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أُنْحَبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»² وقوله: «بما يعرفون» أي: بما يفهمون.

قال الشيخ ابن العثيمين³: «ولهذا كان من الحكمة في الدعوة ألا تباغت الناس بما لا يمكنهم إدراكه، بل تدعوهم رويداً رويداً حتى تستقر عقولهم»⁴.

3 - البدء بالأهم والأيسر:

يجب على الدعاة مراعاة المدعويين والاهتمام بهم، ودراسة حالاتهم، والتصرف تجاهها بما يناسبها، مما يقرره الشرع الحنيف، " فلا يجوز أن ينطلق الداعية في دعوته بدون تخطيط مسبق، بدعوى التبليغ مجرد التبليغ دون أن ينظر إلى حال المدعويين، وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مجرد الأمر

¹ - مشاعل بن مشعل العنزي، التمهيد وأثره في قبول الدعوة، ص78.

² - البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب العلم، باب من خص بالعلم، رقم الحديث 127، ط1، ج1، ص37.

³ - ابن العثيمين: عبد الله محمد بن صالح العثيمين الوهبي، ولد بالقصيم، سنة (1347-1419هـ)، قرأ على الشيخ عبد العزيز ابن باز، له مؤلفات كثيرة منها: شرح العقيدة الوسطية. ينظر: عصام بن عبد المنعم المري، الدر الثمين في ترجمة فقيد الأمة ابن العثيمين، ط1، مصر، دار البصيرة، 1423هـ، ص386.

⁴ - محمد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوى ابن العثيمين، ط1، الرياض، دار الوطن، 1413هـ، ج10، ص885.

والنهي دون معرفة واقعهم، ولذلك يجب على الداعية التدرج مع المدعويين وأن يبدأ معهم من الأصول إلى الفروع، ومن الأيسر إلى ما يليه، ومن السهل إلى الأشد، ومن القريب لأذهانهم إلى ما بعد عنهم، ومن المهم إلى الأهم¹.

ولهذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بدأ في الدعوة بالأهم، ثم المهم، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما «بعث النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه فيها زادهم الصلاة فلما صدقوه زادهم الزكاة، فلما صدقوه زادهم الصيام، فلما صدقوه زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم»².

4- معرفة ما لا يجوز التدرج فيه:

إن على الداعية أن يدرك أن خاصية التدرج في الدعوة الإسلامية لا يمكن أن تؤخذ على إطلاقها خشية أن تستغل لهدف خبيث، أو يساء استخدامها، فلا تتحقق الغاية منه، فلا تدرج في التشريع ولا تدرج في العقيدة الإسلامية، فالأمور المحرمة قطعاً والثابتة في النصوص كالزنا والربا والخمر لا يمكن للداعية التدرج بها بإقرارها وإباحتها مبدئياً، ثم التدرج في إبطالها؛ لأنها تدخل ضمن المعلوم من الدين بالضرورة؛ لذلك يجب الإعلان عنها، والتصريح بتحريمها؛ ولكن يمكن التدرج في تعليم الناس، فيسكت عن بعضها إلى حين تمكن الإيمان من القلب وتعلم الأهم فالمهم³.

5- قدرة الدعاة على استخدام خاصية التدرج في الدعوة

"إن على الدعاة إلى الله تعالى أن يقوموا بدورهم وفقاً لقدراتهم وإمكاناتهم، مع عزم النية على الوصول إلى الكمال، فليس من المطلوب تحقق الوصول إلى الكمال، وإنما المطلوب عقد العزم والنية على ذلك. والسير نحو الكمال فإن تم ذلك فليحمد المسلم ربه، وإن كان غير ذلك بحيث عجل الله تعالى المنية على الإنسان فقد علم الله تعالى نيته، فليس من الحسن التعجل في الدعوة خشية تدارك الأجل إن تعارض ذلك مع مصلحة الدعوة"⁴. فقد روي عن عبد الملك بن عمر أنه

¹-إياد كامل إبراهيم الزبياري، سياسة التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية، ط1، المملكة العربية السعودية، دار الكتب العلمية 2017م، ص 325.

²- أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط:1، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، 2003م، ج16 ص264.

³- جهاد داود سليمان شحادة، التدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية، ص145.

⁴- أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988 م، ج5، ص281.

قال لعمر بن عبد العزيز « يا أمير المؤمنين، ما يمنعك أن تقضي للذي تريد، فو الذي نفسي بيده، ما أبالي لو غلت بي وبك فيه القدور، قال: وحق هذا منك يا بني؟ قال: نعم والله، قال: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ربي، يا بني، لو بددت الناس بالذي تقول لم آمن أن ينكروها، فإذا أنكروها لم أجد بدا من السيف ولا خير في خير لا يأتي إلا بالسيف، يا بني، إني أروض الناس رياضة الصعب فإن يطل بي عمر فيني أرجو أن ينفذ الله لي شيئاً، وإن تعد علي منية فقد علم الله الذي أريد»¹.

فالتدرج يكون حسب قدرة المكلف، والله تعالى قد قيّد التكليف بالقدرة والاستطاعة، والوسع والطاقة، فلا تكلف نفس إلا وسعها. يقول الإمام ابن تيمية²: «والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به»³، وذلك لأن الله تعالى قد تكفل لهذا الدين بالحفظ والتمام قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:09]..

6 - مراعاة فقه الواقع وفقه المصالح والمفاسد:

ينبغي للداعية عند استخدامه لخاصية التدرج أن يعلم فقه المصالح والمفاسد وفقه الواقع ، ولا سيما طلبه العلم والدعاة إلى الله تعالى؛ لأن ذلك يمكن الدعاة من تحديد أولويات العمل الدعوي بتقديم الأهم على المهم؛ فعلى الداعية أن يراعي المصالح والمفاسد المترتبة عن دعوته عند استخدامه لخاصية التدرج في الدعوة والعلم بوجوب تقدير المصالح والمفاسد في الأمر المطروح أو المدعو إليه قبل الدعوة إليه والعمل على تحصيل أعلى المصلحتين ودفع أعظم المفسدتين عند التزاحم، لأن الملاحظ في هذه القضية أن كثيراً من الدعاة يخطئ في تقديم الأولويات العمل الدعوي، فيقدم ويؤخر معتقداً أن الأمر يعود إليه، وهذا في الحقيقة لا يصح لأن أولويات العمل في الدعوة إلى الله عز وجل منضبطة ومنبثقة من النصوص الشرعية وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته⁴.

¹ - أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، ط، الرياض 1، مكتبة الرشد، 1409، ج7، ص174.

² - ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، ولد بجران بتركيا، سنة (661 - 728هـ)، شيخ الإسلام في زمانه وأبرز علمائه، من مؤلفاته: درء تعارض العقل والنقل، توفي بدمشق. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، (د.ن)، دار العلم للملايين، 2002 م، ص144.

³ - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، المملكة العربية السعودية، جمع الملك فهد، 1416هـ، ج20، ص59.

⁴ - عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1414هـ، ص163.

و مما تقدم ندرك أنه ينبغي على الداعية الالتزام بضوابط خاصة التدرج في دعوته؛ وإلا تحوّلت هذه الخاصة من خاصة معينة على نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للناس إلى شعار يؤدي لتفريغ الدعوة الإسلامية من مضمونها والحد من تأثيرها فلا تؤتي ثمارها.

المبحث الثاني:
خاصية التدرج في الدعوة
من حيث إبلاغها وموضوعها ومناهجها

المطلب الأول: خاصية التدرج في إبلاغ المدعوين

المطلب الثاني: خاصية التدرج في موضوع الدعوة

المطلب الثالث: خاصية التدرج في المناهج والأساليب والوسائل الدعوية

خاصية التدرج في الدعوة من حيث إبلاغها وموضوعها ومناهجها

بعد أن حاولنا، في المبحث الأول، أن نحدد ماهية خاصية التدرج في الدعوة، سنأتي في هذا المبحث إلى محاولة عرض صور ونماذج من خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك بالرجوع إلى القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، بهدف استنباط منهجية التدرج في الدعوة، وبعض الآثار والفوائد التي تترتب عن الأخذ بهذه الخاصية في المجال الدعوي. ذلك أن الحاجة باتت ملحة اليوم في ظل الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي من تفسخ وسلبية تجاه دينه وتراثه، ما فرض على الدعاة بذل المزيد من الجهد للتطوير منهجية العمل الدعوي، خصوصا ما يتعلق بكيفية تبليغ هذه الدعوة للمدعوين، وآلية معالجة الدعاة لمختلف الموضوعات الدعوية، وكيفية اختيارهم لأهم الأساليب والوسائل الدعوية، في ظل استثمارهم لخاصية التدرج، ولاسيما وأن هذه الخاصية ميزت المنهج القرآني وكانت من الركائز المهمة التي تأسست عليها دعوة النبي صلى الله عليه وسلم. فكيف تستثمر خاصية التدرج في إبلاغ المدعوين؟ وكيف يتم الاستفادة منها في انتقاء الموضوعات والأساليب والوسائل الدعوية؟ وهذا سيكون محور اهتمامنا الذي سنحاول الإجابة عليه في ما يأتي بإذن الله تعالى.

المطلب الأول: خاصية التدرج في إبلاغ المدعوين

إن المتأمل لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة منذ بدايتها، يجد أنها تطورت وفق مراحل متتالية ومتدرجة وملائمة للظروف التي اقتضاها الواقع في كل مرحلة من عمر الدعوة الإسلامية ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تدرج في تبليغ رسالة الإسلام للناس من طور إلى طور مراعيًا في ذلك مصلحة الدعوة الإسلامية وغاياتها الكبرى، فابتدأ بإبلاغ الأقربين من أهل بيته وعشيرته، ثم انتقل بعد ذلك لدعوة أهل مكة عامة، ثم انتقل لإبلاغ قبائل العرب قاطبة، إلى أن شمل هذا البلاغ الناس كافة. فقد كان من حكيمته صلى الله عليه وسلم أن استثمار خاصية التدرج في إبلاغ المدعوين بأن يلزم نفسه وأهله أولا بهذا الدين ثم يتدرج بإبلاغ من هم أولى وأقرب إلى أن شملت هذه الدعوة الناس كافة. فالمتأمل في مراحل الدعوة يدرك أنه كان للخاصية التدرج في إبلاغ المدعوين عظيم الأثر في نشر رسالة الإسلام، وسببا مباشرا في نجاح الدعوة الإسلامية.

المرحلة الأولى: البدء بإبلاغ الأقربين

" إن طبيعة المدعويين في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة الإسلامية وطبيعة رسالة الإسلام والتي كان من أهم مقاصدها التدرج والرفق بالمدعويين، تستلزمان أن تكون بداية هذه المرحلة سرية وذلك أن أهل مكة كانوا على عبادة الأصنام والأوثان، ولا يعرفون في حل المشاكل إلا السيف وكانوا مع ذلك متصدرين للزعامة الدينية في جزيرة العرب ومحتلين مركزها الرئيس، ضامنين حفظ كيانها. فقد كان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة في بداية أمرها سرية ، لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم.

وكان من الطبيعي أن يعرض النبي صلى الله عليه وسلم دعوته أولاً على أقرب الناس إليه وألصقهم به، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، فدعا آل بيته وأصدقاءه ممن يعرفونه بالصدق والصلاح، ويعرفهم بحب الحق والخير، وفي مقدمتهم زوج النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، ومولاه زيد بن حارثة و ابن عمه علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم. وقد أسلم هؤلاء في أول يوم من أيام الدعوة؛ وكان إسلامهم فاتحة خير على الإسلام ودعوته" ¹. قال الحافظ ابن حجر: «والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولاً، أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذهم ما يأخذ القريب من العطف والرافة، فيحاييهم في الدعوة ، فلذلك نصَّ له على إنذارهم أولاً» ².

فقد كان دور هذه المرحلة السرية عظيماً في غرس نواة العقيدة، والدين الإسلامي بما ينطوي عليه هذا الدين الحنيف من الأخلاق الرفيعة في نفوس أقرب الناس إليه صلى الله عليه وسلم وألصقهم به، الأمر الذي ساعد في حفظ المسلمين من الأوائل ونفوسهم من سيف المشركين ومكائدهم، كما كانت الدعوة السرية فرصة سانحة لتربية الرعييل الأول، وإعدادهم وتكوينهم حتى يشتد عودهم، وتقوى نفوسهم لتحمل مهام الدعوة التي تنتظرهم في مرحلة لاحقة ³.

¹ - محمد حمد كنعان ميغا: "مراحل الدعوة ودورها في تحقيق مقاصد الشريعة"، المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة 1434هـ النيجر، جامعة إفريقيا العالمية، ص28.

² - سعيد بن علي بن وهب القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة للإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1421هـ، ج1، ص81.

³ - المرجع نفسه محمد حمد كنعان ميغا: "مراحل الدعوة ودورها في تحقيق مقاصد الشريعة"، ص29.

المرحلة الثانية : إبلاغ أهل مكة عامة

تعد الدعوة الجهرية المرحلة الثانية من عمر الدعوة الإسلامية، ففي بداية هذه المرحلة أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته للناس وجهر بها، بعد أن جاءت أوامر الله تعالى تحثه على توسيع دائرة دعوته ، لينتقل من إنذار آل بيته والمقربين من أصدقائه وعشيرته ، إلى دعوة قبيلة قريش بكل بطونها، وكان هذا تدرجا واضحا في تبليغ الدعوة للمدعوين، فما كان من الرسول إلا أن استجاب لأمر ربه ، وصعد لجبل الصفا فجعل ينادي : «يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ، يَا بَنِي هَاشِمٍ». وكل بطون قريش حتى اجتمعوا¹؛ فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان ، لكنهم تصدوا لدعوته وأعرضوا عنه، ونصبوا له العداوة والبغضاء، ولا ريب أن أهل مكة حاربوا الدعوة في هذه المرحلة، ولم يؤمنوا بها للعيوب الأخلاقية والاجتماعية التي كانت فيهم، فلم تطب أنفسهم لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم، بسبب تمسكهم بتقاليدهم وتعصبهم لما ألفوه من دين الآباء والأجداد ، كما حكى الله تعالى عنهم على سبيل الذم والإنكار في كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22]. كما كان الكبر و الخوف على الزعامة والرياسة ، والخوف على مصالحهم المالية من الضياع والتبدد والهلاك سببًا من الأسباب الرئيسية لعدم دخولهم الإسلام، فهم مستفيدون من وضع مكة حينئذ المنغمس في الشهوات والمفاسد².

المرحلة الثالثة : إبلاغ قبائل العرب قاطبة

" لما وجد النبي صلى الله عليه وسلم أن جميع المحاولات التي قام بها لدعوة أهل مكة إلى الإسلام لم تجد قبولا ، بل قوبلت بالرفض والإعراض ، وتبين له إصرار قومه على معاداته ومحاربتة ، قرر صلى الله عليه وسلم الذهاب إلى الطائف عله يجد من ينصره ويعينه على أمر الدعوة، لكن أهل الطائف أساءوا في الرد عليه، وأعرضوا عن مساندة دعوته ، فعاد النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف إلى مكة بجوار المطعم ابن عدي ، ولما علم أهل مكة بأمر ذهابه إلى الطائف ، اشتد آذاهم ومضايقتهم له، واستحكمت العداوة بينه وبين قريش أكثر من ذي قبل"³، لكن كل ذلك لم يؤثر

¹ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب وأندز عشيرتك الأقربين، رقم الحديث 4427، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج14، ص492.

² راغب السرخاني: "مرحلة الدعوة الجهرية في مكة"، مقال منشور في موقع قصة الإسلام، نشر يوم : 2010/04/21 الساعة 11:30، مأخوذ يوم 2020/04/22، الساعة : 11:00. <https://www.islamstor.com>

³ عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص 98.

على عزمه صلى الله عليه وسلم ، ولم يثنه عن تبليغ رسالة ربه، بل واصل دعوته بكل الطرق والوسائل المتاحة.

" لقد كانت مواسم الحج ومواسم الأسواق قبل الحج وبعده، فرصة مناسبة للاجتماع بالناس وتبليغهم الدعوة، فلم يدع عليه السلام هذه الفرصة تفوت دون الاستفادة منها، فأخذ عليه الصلاة والسلام يغشى الناس في أسواقهم وفي تجمعاتهم، يدعوهم إلى الله تعالى ويخبرهم بأنه نبي مرسل ويسألهم تصديقه ومنعه من أذى قومه"¹، حتى تجاوز عدد القبائل الذين دعاهم وعرض نفسه عليهم أكثر من عشرين قبيلة. " فكان من بين هذه القبائل: بنو عامر بن صعصعة، ومُحَارِب بن خَصَف، وفزارة، وغسان، ومرة، وحنيفة، وسليم، وعَبَس، وبنو نصر، وبنو البَكَّاء، وكندة، وكلب، والحارث بن كعب، وعُدْرَة، والحضارمة، فلم يستجيب منهم أحد لدعوته.

أما فترة دعوته لهم فقد كانت ما بين السنة الرابعة من النبوة إلى آخر موسم قبل الهجرة"². وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على صبر النبي صلى الله عليه وسلم وطول نفسه في الدعوة؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم أو شرف إلا تصدى له فدعاه. وهكذا استمر الرسول صلى الله عليه وسلم يعرّف بنفسه في موسم الحج من كل سنة على القبائل الوافدين إلى بيت الله الحرام، يتلوا عليهم القرآن ويعرض عليهم الإسلام ويرغبهم بالفلاح، ويطلب المناصرة، كما كان يخرج إلى القبائل العربية في الأسواق وغيرها ، وحتى في الطرقات لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه.

"وبينما النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه، مرّ بعقبة منى فوجد بها ستة شباب من يثرب فعرض عليهم الإسلام فأجابوا دعوته ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام، حتى انتشر فيهم الإسلام"³، ولما كان العام المقبل وافى في الموسم اثنا عشر رجلا لقوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة، وبايعوه ببيعة العقبة الأولى ثم تبعها بيعة العقبة الكبرى التي كانت فتحة عظيما للدعوة

¹ - المرجع السابق، ص 98-99.

² - صفى الدين الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية، الهند، دار إحياء التراث، 1393هـ، ص 117.

³ - المرجع نفسه، عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص 101.

الإسلامية. ثم كانت الهجرة النبوية الشريفة للمدينة، والتي كان لها عظيم الأثر في نجاح دعوته صلى الله عليه وسلم¹.

ومما سبق يتبين لنا أن هذه المرحلة كانت بمثابة الحلقة المفصلية والحاسمة في عمر الدعوة الإسلامية؛ كونها ساهمت في إنجاح صيرورة العمل الدعوي وانتشاره لاحقاً، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم طوّر من طرق الدعوة في هذه المرحلة على ما كانت عليه في الفترتين السابقتين، وتمركز هدف النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة على توسيع رقعة العمل الدعوي والانتقال به خارج مكة.

"وقد كانت من أساليبه الحكيمة في الرد على مكائد المشركين في مكة، بعد عودته من الطائف مقابلة القبائل في الليل حتى يتمكن صلى الله عليه وسلم من عرض رسالته عليهم عرضاً مسترسلاً، وحتى لا يحول بينه وبينهم أحد من المشركين. وكذلك اصطحابه لمجموعة من الأعوان من الصحابة حتى لا يظن المدعوون أنه وحيد ولا أعوان له من أشرف قومه وأقربائه. هذا إلى جانب معرفة أبي بكر بأنساب العرب الأمر الذي يسهل على النبي صلى الله عليه وسلم في التعرف على معادن القبائل، فيقع الاختيار على أفضلها، فكانت نتيجة هذا تغيير في منهج وطريقة الدعوة، اتصال النبي صلى الله عليه وسلم بالأوس والخزرج ليلاً، ثم كانت بيعة العقبة الأولى والثانية ثم الهجرة²، وبهذا دخلت الدعوة الإسلامية مرحلة جديدة وأخذت تباشر نشاطها بأسلوب جديد، إذ وجدت لها مركزاً قويا في مكان بعيد عن أهل مكة، وأخذ الإسلام ينتشر بين أهل المدينة سواء الأوس أو الخزرج، بل شملت الدعوة قوما آخرين، عرباً وغير عرب، حتى انتقلت الدعوة إلى مرحلتها العالمية.

المرحلة الرابعة: إبلاغ الناس كافة

"بعد أن عقد الرسول صلى الله عليه وسلم معاهدة صلح الحديبية مع قريش، وتم القضاء نهائياً على خطر اليهود، هدأت الأوضاع في المدينة، وجدت الدعوة الإسلامية متنفساً، ومجالاً للتقدم في نشر الدعوة، حيث أمن جانب هؤلاء ولم تعد هناك قوة بالحجاز يخشاه المسلمون، فكانت هذه بمثابة فرصة سانحة للنبي صلى الله عليه وسلم لتبليغ رسالة الإسلام للناس جميعاً عربهم

¹ عبد الله بن محمد الموسى، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي رسالة ماجستير، معهد الدعوة الإسلامي، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1403 هـ، ص 175.

² عبد الله عياد صبر العروي، المرجع السابق، ص 98.

وعجمهم¹ ذلك الإسلام جاء رحمة إلهية للعالمين، إذ لا يقتصر انتشاره على منطقة جغرافية معينة أو طائفة بعينها فالناس جميعا مدعون إلى هذا الدين، فهم أمة هذه الدعوة التي أرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سأ:28]، وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:67].

" لقد بادر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة بتبليغ دعوته للناس أجمعين، وذلك من خلال الاتصال بالملوك ورؤساء القبائل خارج الجزيرة العربية وداخلها، من عرب وعجم يدعوهم إلى رسالة الإسلام، لإدراكه صلى الله عليه وسلم بمدى تأثير هؤلاء في أتباعهم و أقوامهم، وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد سلك أقصر الطرق للتبليغ الدعوة الإسلامية². فقد راسل النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة من عمر الدعوة الإسلامية أقوى ملوك العالم وزعمائه، مثل كسرى ملك فارس، وهرقل قصير الروم، والنجاشي، وكذلك وزعماء القبائل ودول العالم في كل مكان يدعوهم إلى الإسلام.

الآثار والدروس المستفادة من خاصية التدرج في إبلاغ المدعوين:

" ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يعلم أن الدعوة إلى الإسلام عامة لجميع البشر في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، فهي ليست خاصة بجنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة أو زمان دون زمان أو مكان دون مكان، فمن حق المدعو أن يؤتى ويدعى إلى الإسلام، ومن واجب الداعية أن يأتي إلى الناس ويدعوهم ولا يجلس في بيته منتظرا مجيء الناس إليه. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي إلى الناس في منازلهم ويدعوهم إلى الإسلام، وكان يخرج إلى القبائل في المواسم، ويذهب إلى مقابلة وملاقة الوفود، ويبعث بأصحابه ليلغوا عنه رسالة الإسلام في شتى الجهات، ويرسل بالكتب إلى أقوى ملوك العالم والرؤساء على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم³، وفي هذا إشارة أن على الداعية أن لا يستثني أحدا من حق دعوته إلى الإسلام، وأن لا يستصغر شأن أي إنسان أو أن يستهين به، لأنه من حق كل إنسان أن يدعى إلى الله تعالى، وحتى تلاقي الدعوة نجاحا وقبولا من المدعوين لا بدّ على الداعية أن يستثمر خاصية التدرج في إبلاغ دعوته للمدعوين، ويكون ذلك

¹ - المرجع السابق، ص 107.

² - المرجع نفسه، ص 111.

³ - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، ط1، (د.ن)، 1994م، ص 91.

بأن يبدأ بدعوتهم وفق هذه الخطوات التي سار على نهجها النبي صلى الله عليه وسلم والتي كانت كما يأتي:

1 - "أن يبدأ الداعية بنفسه أول شيء بإصلاحها ، فيمثل أوامر الله، ويحْتَنِب نواهي الله، قبل أن يبدأ بدعوة الآخرين، فقد عاب الله جلّ وعلا على بني إسرائيل عدم إلزام أنفسهم بما يدعون إليه"¹ في قوله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 44]. لأن عدم إلزام الداعية بنفسه بما يدعوا إليه لن يولد إلا نفورا إزاء دعوته من قِبَل المدعويين، لهذا ينبغي على الداعية أن يكون قدوة حسنة ونموذجا حيا للمدعويين في الالتزام بتعاليم هذا الدين حتى يترك أثرا طيبا ويلاقي قبولا من المدعويين .

2 - فإذا فرغ الداعية من إصلاح نفسه واستقامتها ، فإنه يبدأ بعد ذلك بإصلاح أقرب الناس إليه، وذلك "بأن يمضي الداعية في تكوين بيته وإصلاح أسرته وقرابته ليُكوّن البيت المسلم واللبننة المؤمنة"²، امثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: 214]، واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فالأصل إذاً في دعوة المدعويين البدء بالأقربين أولاً، ثم التدرج بعد ذلك إلى من عداهم لان البدء بالأقربين هو أولى من البدء غيرهم ، وامتناع الأقربين عن الاستجابة لهذه الدعوة سيكون حائلاً بين إقناع الداعية لبقية المدعويين ويحد من أثر دعوته، لأنهم سيكونون ذريعة لغيرهم في الإنكار وعدم الاستجابة .

3 - " ثم يتوجه الداعية إلى إصلاح المجتمع بعد تمكنه من إصلاح أهل بيته وقرابته ، فينشر دعوة الخير فيه ويحارب الرذائل والمنكرات بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ويشجع على الفضائل ومكارم الأخلاق"³، ويحثهم على ضرورة التحلي بالإيمان الصادق والعمل به والثبات والاستقامة بالنصح الرشيد والتوجيه السديد، فعلى الداعية أن يبذل قصارى جهده في تذكيرهم بالله عز وجل لعبادته وطاعته، امثالاً لقوله الله تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذريات: 55] .

4 - ثم الانتقال بعد ذلك للدعوة غير المسلمين إلى منهج الحق وإلى شريعة الإسلام، لأن دعوة الإسلام دعوة شاملة وعامة لجميع البشر، وهي مسؤولية تقع على عاتق كل داعية، كونها

¹ - إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرج في دعوة النبي، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام بن السعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1417هـ، ص 158.

² - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، ص 91.

³ - المرجع نفسه ، ص 96.

واجب ديني ممتد من عهد النبوة حتى قيام الساعة، لقوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 108]، ولقد تحمل الصحابة رضوان الله عليهم من قبل مشقة السفر والتنقل للتبليغ الدعوة إلى غير المسلمين في شتى أصقاع الأرض، أما اليوم فيمكن الدعوة أن يقوموا بمهمة الدعوة وتبليغها لغير المسلمين بأقل عناء ومشقة من خلال اعتمادهم في تبليغها على وسائل الإعلام الحديثة.

المطلب الثاني: خاصية التدرج في موضوع الدعوة

شاءت إرادة الله أن تبدأ دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم في قلب مكة، وقد كانت مكة آنذاك غارقة بالوثنية، فهي مركز دين العرب وموطن حجاجهم، فيها بيت الله، الذي كان محاطاً بالأصنام والتماثيل، وكان أهل مكة أصحاب جاهلية يشركون بالله تعالى ويسفكون الدماء، ويشربون الخمر ويقدمون على غير ذلك من المنكرات التي ألقوها ونشئوا عليها، فاقترضت حكمة الله تعالى أن يتدرج بهم في موضوع الدعوة، فالله تعالى هو الذي خلقهم وهو أعلم بطباع النفوس ولأنه يشق عليهم ترك ما ألفوه جملة واحد، والإقلاع عما اعتقدوه بمجرد النهي عنه، لأن للعقائد حتى لو كانت باطلة، وللعادات ولو كانت مستهجنة سلطاناً على النفوس، ولا يكون تغييرها إلا بتصحيح المعتقد أولاً ولذلك جاءت دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية مركزة على جانب تصحيح العقيدة والبدء بالدعوة إلى التوحيد.

المرحلة الأولى: الدعوة إلى التوحيد

بعدما أنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَتَيْبَاتِكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [سورة المدثر: 1-4]، كان في هذا إيذاناً له صلى الله عليه وسلم أنه أمام مهمة عظيمة، تستدعي الإرادة القوية والصبر الطويل لحمل رسالة الإسلام وتبليغها للناس. وكانت هذه الآيات بمثابة خلاصة للدعوة الإسلامية، فقد جاءت موضحة بأن هذا الإنذار لا بد أن ينطلق أولاً من توحيد الله عز وجل كونه الأساس الأول الذي قامت عليه دعوات كل الرسل عليهم السلام¹، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

¹ - علي محمد محمد الصلابي، السيرة النبوية، ط2، دمشق، دار ابن كثير، 2009 م، ج1، ص95.

الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36] "فدلت الآية على أن التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخريين ديناً سواه فرسل الله عليهم السلام كلهم متفقون على البدء بالدعوة إليه، وإن اختلفت الشرائع، ذلك أنه أوجب حقوق الخالق على المخلوقين .

ومما يؤكد على الأهمية القصوى في البدء بالتوحيد في الدعوة، بقاء النبي صلى الله عليه وسلم ما يقارب نصف عمره بعد البعثة يدعو إلى هذا التوحيد، ويركز عليه دون غيره، واستمراره صلى الله عليه وسلم طيلة زمن الرسالة في عرض التوحيد والدعوة إليه¹.

فقد رُوِيَ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس بذي الحجاز يقول لهم «أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»².

وكذلك جاء القرآن المكي ليرسم لنا منهجا دعويا يقوم على خاصية التدرج في موضوع الدعوة؛ وذلك بالتدرج في استصلاح منظومة المعتقد أولا ، فنجد أن المنهج القرآني قد ركز في هذه المرحلة على تصحيح العقيدة، وشحن القلوب بمبدأ التوحيد، لينتقل بعدها إلى التدرج في بناء التشريع، فخاصية التدرج واضحة وجلية منذ بداية الدعوة الإسلامية، فهي بمثابة التحول من الكل إلى الجزء، فصلاح التفكير والسلوك رهين بصلاح المعتقد بداية، ولهذا لم تكن المرحلة المكية من الدعوة مرحلة تشريع بقدر ما كانت مرحلة تصحيح للمعتقد وتكوين للأساس المتين الذي تقوم عليه الشريعة الإسلامية³.

المرحلة الثانية: الدعوة إلى التشريع

بعد أن ترسخت عقيدة التوحيد في نفوس المؤمنين، وأصبح من الإمكان بناء مجتمع إسلامي يجسد عقيدة التوحيد في حياته، وذلك أن العقيدة هي الأصل الروحي الذي ترتكز عليه دعائم الشريعة ما يعني أن الشريعة هي ثمرة عقيدة التوحيد في الواقع العملي ، وكل هذا يجسد كمال الإسلام ، وتنظيمه لأدق تفاصيل حياة الإنسان، روحية كانت أو حسية، بدءا بعلاقته بخالقه وانتهاء بنفسه ومجتمعه فكان من حسن تدبير الشرع وحكمته أنه أخذ الناس في تقرير أحكامه على مهل ،

¹ - إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص27.

² - علي بن عمر الدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب البيوع، باب المواقيت، رقم الحديث: 2976، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط:1 لبنان، مؤسسة الرسالة، 1424 هـ، ج 3، ص462.

³ - أحمد فريد صالح أبو هزيم: "منهج القرآن الكريم في التدرج وأثره في التغيير"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 70، 2007، جامعة سلطان قابوس، ص53.

وعرض أوامره قضية بعد قضية، متدرجا بهم بما يلائم طباعهم وعاداتهم ، على وجه لا يشق عليهم، لأن لا تتقل كواهلهم ، وتنفر منه نفوسهم ، فقد جرى تقرير أحكامه على مراحل متتالية، إلى حين اكتماله على النحو الذي يمارسه المسلمون اليوم .

"إنّ الدعوة الإسلامية تدرجت في تقريرها لأركان الشريعة مبتدئة بالأهم ثم المهم، فافتضت على الناس أول شيء بعد التوحيد الصلاة، وذلك لعظيم أهميتها ومكانتها في الإسلام. فقد فرضت الصلاة متقدمة على بقية أركان الشريعة"¹، ويدل على ذلك حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى»². ففي قولها : ثم هاجر ، دليل على تقدم فرض الصلاة، وأنها فرضت قبل هجرته صلى الله عليه وسلم، وهذا لعظيم فضلها و مزيتها على سائر الفرائض والعبادات، يؤكد هذه الأهمية أنه صلى الله عليه وسلم كان يبايع على الصلاة بعد التوحيد. يقول ابن حجر³ مبينا البدء بالصلاة بعد التوحيد:«وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة لأنها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة لأنها رأس العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمس»⁴. وكذلك الصيام لم يفرض دفعه واحدة، وإنما على التدرج يقول ابن القيم⁵: «ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها، تأخر فرضه إلى وسط الإسلام

¹ - إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص 46.

² - البخاري ، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار ،باب من أين أرحوا التاريخ ، رقم الحديث 3935،تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، ج5، ص68.

³ - ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد، الكناي العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، أصله من عسقلان بفلسطين. ولد بالقاهرة سنة (773هـ - 852هـ) ،حافظ الإسلام في عصره، مؤرخ، أديب، شاعر، من فقهاء الشافعية، من أهم آثاره أسباب النزول والآيات النيرات للخوارق المعجزات، ينظر: عبد الحي بن أحمد العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط1، دمشق، دار ابن كثير، 1406 هـ، ج1، ص74.

⁴ - ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق : أحمد بن علي العسقلاني،(د.ط)،بيروت دار المعرفة، 1379هـ ج2، ص7.

⁵ - ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب، الدرعي، الدمشقي، شمس الدين، ابن القيم، ولد سنة (691هـ -751هـ) بدمشق الفقيه الأصولي النحوي المفسر العارف، من أهم مؤلفاته تحفة الناقلين بجوار رب العالمين ، الكبائر، ينظر: عبد الحي بن أحمد العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط1، دمشق، دار ابن كثير، 1406 هـ، ج8، ص287.

بعد الهجرة، لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة والزكاة ، وألفت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدرج»¹.

وقد بينت أم المؤمنين عائشة هذا التدرج فقالت: «كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ»². "عندما فرض الصيام كان أولاً على التخيير بين الصوم والإطعام على كل يوم مسكين صيام، وجعل الإطعام للشيخ الكبير والمريض الذي لا يطيق الصوم والقضاء لمن له عذر كالمسافر والمريض"³.

وهكذا كانت الدعوة إلى الشريعة الإسلامية تسير بالناس سيرا دقيقا في تقرير شرائعها وتحملهم على التدرج في قبول أحكامها والالتزام بها حتى أتم الله دينه، وقد نبه الإمام القرطبي⁴ إلى هذا التدرج الحكيم، فقال: قال ابن عباس رضي الله عنه «بعث النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه فيها زادهم الصلاة، فلما صدقوه زادهم الزكاة، فلما صدقوه زادهم الصيام، فلما صدقوه زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم»⁵.

ويدل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَامَ أَمْوَالِهِمْ»

¹ - شمس الدين ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط 27 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة، 1415هـ، ج2، ص27.
²- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب يوم عاشوراء، رقم الحديث 2002، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج3، ص44.

³ - جهاد داود سليمان، التدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية، ص21.

⁴ - القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الشيخ الإمام أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي القرطبي، ولد بالأندلس سنة (1214م - 671هـ)، المفسر كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، من أهم مؤلفاته: التذكار في أفضل الأذكار، الأسنى في أسماء الله الحسنى، ينظر: عبد الفتاح بن السيد عجمي العسس، هداية القارئ لتجويد كلام الباري، ط2، المدينة المنورة، مكتبة طيبة، (د.ت)، ج5، ص1181.

⁵ - محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، مختصر تفسير القرطبي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001 م، ج4، ص128.

النَّاسِ»¹. فقرر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث التدرج في الدعوة إلى هذه الأركان الشرعية، والبدء بالأهم فالأهم، ويشير النووي² بقوله: «ولأنه صلى الله عليه وسلم رتب ذلك في الدعاء إلى الإسلام وبدأ بالأهم، ألا تراه بدأ بالصلاة قبل الزكاة»³، فدل على أهمية مراعاة خاصية التدرج في عرض الموضوعات الدعوية وترتيبها والبدء بالأهم فالأهم.

المرحلة الثالثة: الدعوة لتحريم عادات الجاهلية

لقد كانت الخمر والميسر والربا والأنصاب والأزلام من معالم الحياة الجاهلية، ومن التقاليد المتأصلة في المجتمع الجاهلي التي ضربت جذورها في أعماق النفوس، وتغلغت في حنايا الصدور، فكانت كلها بمثابة حزمة واحدة ذات ارتباط عميق في مزاولتها، ولذلك لم تبدأ الدعوة الإسلامية في معالجة هذه العادات و التقاليد في أول الأمر، لأنها تقوم على جذور اعتقادية فاسدة ، فعلاجها من فوق السطح قبل علاج جذورها الغائرة جهد ضائع، فمن حكمته تعالى أن بدأت الدعوة الإسلامية باجتثاث التصور الجاهلي الاعتقادي جملة من جذوره، وإقامة التصور الإسلامي الصحيح محله، لأن النفوس ما كانت لتقلع عن مألوفاتها الجاهلية ، وما كانت لتسمع أو تطيع أمر ولا نهيًا ، مهما تكرر النهي وبُذِلَ لهم النصح ، قبل تثبيت عقيدة التوحيد في نفوسهم ، وتهيئتها للاستجابة ما يحبه منهم الله ورسوله والتخلي عن نواهيه، وسنكتفي في هذا الجزء بعرض خاصية التدرج في تحريم عاداتين من عادات الجاهلية على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.⁴

أولاً: التدرج في تحريم الخمر

" لقد تأصلت عادة شرب الخمر عند العرب، حتى تمكنت من نفوسهم وأصبح الفكاك منها مرة واحدة صعباً للغاية، ولهذا فإن الله عز وجل لم يأمرهم بتركها بادئ الأمر بل تركهم على شربها مدة مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، ولما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ،

¹ - البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 7372، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج9، ص114.

² - النووي: يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين محمد بن جمعة بن حرام الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا الخزامي النووي، ولد في نوى سنة (631هـ - 676هـ) ، فقيه ومحدث ولغوي شافعي، له مؤلفات عديدة منها : رياض الصالحين، والأربعين نوية. ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1413 هـ، ج1، ص909.

³ - يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ط7، بيروت، دار الكتب العمالية، (د.ت)، ج1، ص172.

⁴ - علي بن نايف الشحود، خصائص المنهج الإسلامي في القرآن الكريم، ط1، (د.ن)، (د.ت)، ص297.

واستقر الإيمان في نفوس المسلمين ، سلكت الدعوة الإسلامية مسلك التدرج في تحريمها عبر مراحل متتالية كما يأتي:

أ - المرحلة الأولى : حيث مهد الله سبحانه وتعالى لتحريم الخمر من خلال تبين ضررها على الناس وإثمها، فقد بين سبحانه وتعالى بأن الخمر ليست من الرزق الحسن، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: 67]. فكانت أول ما يطرق حس المسلم من وضع السكر وهو المخمر في مقابل الرزق الحسن؛ فكأنما هو شيء والرزق الحسن شيء آخر¹.

ب - المرحلة الثانية: وفي هذه المرحلة تأكيد على ضررها، "حيث أنزل الله في حقها ما يفيد ذمها والتنفير من شربها، وذلك في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219]. وفي هذا إيجاز بأن تركهما هو الأولى ما دام الإثم أكبر من النفع. إذ أنه قلما يخلو شيء من نفع ولكن حله أو حرمة إنما تركز على غلبة الضرر أو النفع².

د - المرحلة الثالثة : حيث أن الدعوة الإسلامية سلكت مسلك التحريم الجزئي في هذه المرحلة، من خلال النهي عن شربها في وقت أداء الصلاة ، كي لا تذهب بعقول المصلين ، وتغطي على أذهانهم، وليقفوا بين يدي ربهم بكامل قواهم العقلية والنفسية، ووفي ذلك إيجاز للتنافر بين وبين هذه العادة وفريضة الصلاة حين قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43]، والصلاة في خمسة أوقات معظمها متقارب ولا يكفي ما بينها للسكر ثم الإفافة. وفي هذا تضيق لفرص المزاولة العملية لعادة الشرب وتحلل تدريجي من الإدمان³.

ج - المرحلة الرابعة: "لقد كانت هذه المرحلة الحاسمة والأخيرة من مراحل تحريم الخمر حيث حرمت تحريماً قاطعاً حاسماً لا هوادة فيه قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ

¹ - جهاد داود سليمان شحادة، التدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية، ص22.

² - علي معوض وعادل عبد الموجود، تاريخ التشريع الإسلامي دراسات في التشريع وتطور رجاله، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية 2000م، ج1، ص106.

³ - أحمد فريد صالح أبو هزيم، منهج القرآن الكريم في التدرج وأثره في التغيير، ص58.

الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿المائدة: 90 - 91﴾. ذلك بعد تهيأت النفوس لها تهيؤًا كاملاً، فلم يكن إلا النهي حتى تتبعه الطاعة الفورية بعد ذلك والإذعان، ولم يحتج الأمر إلى أكثر من مناد في نوادي المدينة «ألا أيها القوم إن الخمر قد حرمت» فمن كان في يده كأس حطمها، ومن كان في فمه جرعة مجها وشقت زقاق الخمر وكسرت قنانيه، ويجيء السؤال الذي لا جواب له عندئذ إلا جواب عمر رضي الله عنه وهو يسمع قوله تعالى ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ﴿المائدة: 91﴾، فما كان جوابه «انتهينا، انتهينا»¹.

ثانياً - التدرج في تحريم الربا:

" لقد انتشرت ممارسة الربا في جزيرة العرب منذ القدم ، ويرجح أنها شاعت بواسطة اليهود الذين انتقلوا إليها ثم استقروا في بعض قراها ومدنها، حيث بلغ اليهود في هذا الميدان شوطاً لم يلحقهم فيه لاحق قط، لما تركز فيهم الثراء، لما حذقوا فيه من حسن التأني في تسمير أموالهم ، واستغلال الفقر والسذاجة في العرب، فما لبث أن تسرب الربا إلى أهل مكة وتعاملوا به حتى استفحل أمره بينهم حتى غدا عادة من عادات العرب في التجارة وغيرها من شؤون الكسب ، وبذلك انحصر الغنى في طائفة معينة، وعم الفقر من عداهم"². "فلما جاء الإسلام و هو دين المساواة والعدل كان لابد من تحريمه للحماية ذوي الغفلة من أن يخذعوا؛ ولدفع الضرر والمفسدة عن المجتمع، وردعا لذوي الخبث من ظلم الناس وظلم أنفسهم بداء الجشع ، لكن اقتضت الضرورة أن تنفادى الدعوة الإسلامية إحداث نقلة فجائية بتحريم الربا جملة واحدة ، مخافة أن يؤدي ذلك إلى خلخلة النظم الاجتماعية والاقتصادية"³ فكان من الحكمة أن تدرجت الدعوة الإسلامية في تحريم الربا لاجتثاثها من جذورها، على أربع مراحل متدرجة كما يأتي:

أ - المرحلة الأولى : حيث ابتدئ هذا التحريم بدم الربا وبيان أنه لا ثواب يرجى منها ومدح الزكاة مقابل ذلك وكان هذا قبل فرض الزكاة، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ

¹ - علي بن نايف الشحود، خصائص المنهج الإسلامي في القرآن الكريم، ص 300-301.

² - سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط 3، القاهرة، دار الفكر، 1974م، ص 30.

³ - كمال توفيق محمد الحطاب: " نظرات اقتصادية في حكمة تحريم الربا الخفي"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية 1999م،

العدد الخامس، الهيئة القومية للبحث العلمي، ليبيا، جامعة الزمامك، ص 102.

النَّاسِ فَلَا يَرُبُّو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ [الروم: 39].

ب - المرحلة الثانية : التلميح على تحريمه بأخذ العبرة من بني إسرائيل ، حيث جاء هذا التلميح بعرض القصة بني إسرائيل ومخالفتهم لأوامر الله وأكلهم الربا ، وفي ذلك تمهيدا وإيماء إلى إمكان تحريمه على المسلمين وتنبية إلى ضرورة اجتنابه حتى لا يلقوا العذاب الأليم ، قال تعالى ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 160] ، ويفهم من هذه الآية إن المقصود تحريمه عن المسلمين ولكن بتعريض دون تصريح.

د - المرحلة الثالثة: كانت هذه المرحلة بمثابة تحريم جزئي بالنهي عن الربا الفاحش، الذي يتزايد أضعاف مضاعفة، وذلك تمهيدا لتحريمه جملة واحدة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 130].

ج - المرحلة الرابعة : بعد أن أقلع الناس عن أكل الأضعاف المضاعفة منه ، و تهيأت نفوسهم لحكم الله القاطع واستعدت لتركه ، حرم عليهم الربا جملة واحدة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 278-279] ، فجاء هذا التحريم تحريما قاطعا مقرونا بالتهديد بالوعيد والنهي الحاسم عن كل زيادة على أصل الدين إلى يوم القيامة¹.

المرحلة الرابعة: تدرج الدعوة في بناء الأخلاق

إن من الأمور الأساسية التي عملت الدعوة الإسلامية في معالجتها التكوين السلوكي والأخلاقي للمدعوين، وذلك بعد أن فرغت من تقرير عقيدة التوحيد في النفوس، وتشبيتها لمفهوم الإيمان بأركان الإسلام إيمانا معنويا وعمليا، ذلك أن السمو الأخلاقي لا يكون وليد الصدفة ، وإنما يكون منبعه من الإيمان العميق الذي استقر في القلوب حتى يغدوا سجية وطبعاً، ولهذا كان للقرآن الكريم والسنة النبوية دور محوري في التغيير التدريجي للسلوك الإنساني في المرحلة المكينة، والرقي به إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والبلوغ بهم أعلى درجات الفضيلة في المرحلة المدنية، فعن أبي هريرة رضي

¹ - يوسف محيي الدين أبو هلاله، التدرج بين التشريع والدعوة، ص ص 17-21.

الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»¹، ولا يكون ذلك بتهديب النفس وتربيتها على الفضائل الشريفة والحصول الرفيعة والعادات الحميدة².

أ – المرحلة الأولى : الدعوة إلى أصول الأخلاق

لقد سلك القرآن الكريم والسنة النبوية في العهد المكي مسلك التدرج في التربية النفوس وتهذيبها، حيث ابتدأت الدعوة إلى أصول الأخلاق من الصدق والعدل وأداء الأمانة والعفة، مراعية في ذلك خاصية التدرج من ناحية الوجوب والعلو، ومن حيث حاجة الفرد إليها أمس، وأداؤها عليه أوجب، وقد جاءت الأدلة تؤكد اهتمامه صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب في عهد مبكر من دعوته، من ذلك ما رواه البخاري: «أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَةِ»»³، ويؤيد هذا حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع النجاشي، وفيه قوله: «أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلوة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وأن لا نشرك به شيئاً»⁴. فدل هذا الحديث على أن هذا كان حاله صلى الله عليه وسلم مع الناس في الابتداء بدعوتهم للتخلي بأصول الأخلاق.

ب – المرحلة الثانية : الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق

" لما هاجر صلى الله عليه وسلم وطبق المسلمون الإسلام وامتد ميدان الدعوة اتسعت البيئة، أصّل الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى ركائز أخرى في أخلاق المسلم من التآخي والتراحم والتعاون وترك التباغض والتحاسد، حيث أن حاجة الأمة المسلمة إلى هذه الأخلاق أشد، ممثلاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

¹ - أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، كتاب من تجوز شهادته باب مكارم الأخلاق، رقم 20782، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، ط 3، دار الكتب العلمية، 2003 م، ج 10، ص 323.

² - أحمد فريد صالح أبو هزيم، "منهج القرآن الكريم في التدرج وأثره في التغيير"، ص 33.

³ - البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: صلة المرأة أمها ولها زوج رقم حديث 5980، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج 8، ص 4.

⁴ - عبد الرحمن بن علي الجوزي، كتاب الحقائق في علم الحديث والزهديات، تحقيق مصطفى السبكي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988 م، ج 1، ص 197.

اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ» [الحجرات: 12]، فكان عليه الصلاة والسلام يدعو الصحابة الكرام في هذه المرحلة إلى التآخي والمودة، وبيناهم عن سيئ الأخلاق¹، يدل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»².

ويبين ابن حجر المقصود بهذه الإخوة بقوله: قال القرطبي: «المعنى كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة، والمحبة، والمواساة، والمعاونة والنصيحة»³. وكان صلى الله عليه وسلم يدعو إلى هذه الفضائل بالثناء على صاحب الخلق الحسن، فقد أتى صلى الله عليه وسلم الأشجج عبد القيس وقال: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَانَةُ»⁴. "فبين ما فيه من الأخلاق الحسنة، وأثنى عليه بما مبيّن أن الله يحبهما، فالله يحب من عباده ما جبلهم عليه من خصال الخير وفي ثنائه صلى الله عليه وسلم على هذا الرجل دعوة له، ولغيره إلى الأخلاق الحسنة التي يحبها الله، والتي فيها خير للمسلمين وصلاح لهم"⁵.

ومما يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركز في هذه المرحلة على تربية أصحابه للتحلي بمكارم الأخلاق، وتحذيرهم لاجتناب الأخلاق السيئة التي تفضي بهم إلى التشبه بالمنافقين أو التحلي بصفاتهم، والمتأمل في منهجه التربوي في معالجة وتقويم الجانب السلوكي لأصحابه يدرك أنه صلى الله عليه وسلم قد سلك في تربيتهم مسلك متدرجا للبلوغ بهم إلى قمة الرقي السلوكي والأخلاقي حيث ابتدأ بدعوتهم أولاً إلى الأصول والأسس الأخلاقية في العهد المكي ثم أنتقل وتدرج

¹ - إبراهيم المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص44.

² - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتباغض، رقم حديث: 6064، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج8، ص19.

³ - ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج10، ص483.

⁴ - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل جليلب رقم الحديث 1922، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1422هـ، ج2، ص388.

⁵ المرجع نفسه، إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص45.

معهم في الدعوة للتخلي بمكارم الأخلاق والسمو بهذا الجانب في العهد المدني ، لما فيه خيرهم وصلاحهم في دينهم ودنياهم .

الآثار والدروس المستفادة من خاصية التدرج في موضوع الدعوة:

ومما يمكن أن نخلص إليه مما تقدم، التأكيد على ضرورة التزام الدعاة بخاصية التدرج في عرض المواضيع الدعوية وترتيبها حسب أهميتها الشرعية، فلا يقدم موضوعا على آخر، هو أهم منه ، وذلك أن الأصل في أوليات الدعوة الذي يجب على الدعاة الالتزام به في عرض دعوتهم هو ما يأتي :

1 - ضرورة البدء بالدعوة إلى التوحيد، والدعوة إلى قضايا العقيدة كونها الأساس الذي تقوم عليه الدعوة الإسلامية.

2 - ثم الانتقال بالدعوة إلى للالتزام بالتشريع الإسلامي بما في ذلك أركان الإسلام، وكل ما يتصل بها من تعاليم شرعية وأحكام فقهية.

3 - ثم تأتي بقية الموضوعات الدعوية على حسب أهميتها وتقديم الشارع لها وفقا لطبيعة المجتمع واحتياجاته الدعوية، وذلك أنه من حكمة الداعية مراعاة أحوال المدعوين واحتياجاتهم عند اختياره لموضوع الدعوة.

المطلب الثالث: خاصية التدرج في المناهج والأساليب والوسائل الدعوية

اتضح لنا مما سبق بأن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مرت بمراحل متدرجة من حيث إبلاغها للمدعوين، ومن حيث معالجتها لمختلف الموضوعات الدعوية، ما يعني أن كل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية تميزت بمجموعة من المناهج والأساليب والوسائل الدعوية المحددة ذلك أنها جاءت متدرجة وفق هذه المراحل ومنسجمة مع ظروف الدعوة المكانية والزمانية وملائمة لطبائع المدعوين وأصنافهم. فكيف استثمر النبي صلى الله عليه وسلم خاصية التدرج في الوسائل والأساليب والمناهج الدعوية؟ وكيف يتسنى للدعاة اليوم الاستفادة من هذه الخاصية في انتقاء الوسائل والأساليب والمناهج الدعوية المناسبة لجعلها أكثر عمقا وتأثيرا في مجال العمل الدعوي؟

1 - خاصية التدرج في المناهج والأساليب الدعوية:

إن المقصود بخاصية التدرج في المناهج والأساليب الدعوية هو الانتقال مرحلة مرحلة، خطوة خطوة بين المناهج والأساليب الدعوية ، وذلك بمراعاة طبيعة المدعوين ومدى استجابتهم للدعوة

حتى يتسنى للدعاة استثمار الأساليب الدعوية التي تتلاءم مع احتياجات المدعويين العاطفية والعقلية والحسية بغرض جذبهم إلى الإسلام وإقناعهم بالدخول إليه والالتزام بأحكامه وتطبيقه في واقع حياتهم وبالعودة إلى القرآن الكريم نجد أن أصل هذا التدرج في أساليب الدعوة غالباً ما يكون وفق قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل : 125].

أ- منهج وأسلوب الاستمالة العاطفي:

لقد تميزت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم باستعماله للكثير من الأساليب الدعوية المتنوعة والمتدرجة حسب مصلحة المدعويين واحتياجاتهم، ولكن ما تجدر الإشارة إليه أن كل هذه الأساليب الدعوية التي استخدمها صلى الله عليه وسلم على كثرتها، هي في مجملها تعود إلى ثلاثة مناهج دعوية رئيسية، ومثال ذلك اعتماده صلى الله عليه وسلم على مجموعة الأساليب التي تعتمد على تحريك الشعور والوجدان وخاصة عند مباشرته في عرض دعوته أول مرة على المدعويين. فالمتتبع لسيرته صلى الله عليه وسلم يدرك أنه كان يركز على هذه الأساليب الدعوية غالباً عند ابتداءه بالدعوة، وذلك باستخدامه للأساليب التي تركز على العاطفة على تنوعها كأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب تحريك العاطفة الإيمانية، وأسلوب تأليف القلوب، وأسلوب الرفق والرحمة بالمدعويين، وأسلوب المدح والثناء عليهم وغيرها من الأساليب التي تمثل مجموعها المنهج العاطفي، ولأن في ذلك تحبيب للمدعويين لهذه الدعوة، ولما لها من أثر في تأليف قلوبهم وجلبهم لساحة الإيمان وترغيبهم في اعتناقه¹. بالإضافة إلى أن المنهج العاطفي يعد من أعمق المناهج الدعوية أثراً في النفوس، وأكثرها انسجاماً مع طبيعة الإنسان، ذلك أن أصل التغيير الحقيقي في الشخصية الإنسانية هو ما يكون باعته من داخله، ومن قلبه الذي هو محل الشعور وموضع التصديق².

إن من بين النماذج التي تدل على اعتماده صلى الله عليه وسلم على أساليب المنهج العاطفي في عرض دعوته على عموم المدعويين أول مرة اختياره صلى الله عليه وسلم أن يقوم بوليمة في بيته يدعو فيها المقربين من عشيرته من بني هاشم ومن بني عبد المطلب وابن عبد مناف؛ وذلك

1- خالد عبد الرحمن القرشي، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، ص 945-946.

2- حامد بن أحمد بن علي العامري، الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ، ج 1، ص 121.

ليطمئن قلوبهم ويجذبهم إلى الدعوة بلين ورفق لأن ذلك تحبيب إليهم واستعطاف لهم لمؤازرته في الجهر بدعوته في مرحلة لاحقة¹.

ب- منهج وأسلوب الإحسان والرحمة :

وكذلك كان من أهم السبل التي كان يسلكها صلى الله عليه وسلم في دعوته تأليف قلوب مدعويه بالمال، فقد كان يعطيهم صلى الله عليه وسلم المال ترغيباً لهم واستمالة لقلوبهم للدخول في الإسلام. ويجذبهم إليه بالإحسان إليهم بالعفو والامتنان، وهذا من حكمته صلى الله عليه وسلم حيث كان يتألف الناس بما يعلم فيه صلاحهم، فإن كانوا ممن يؤثر المال تألفهم بالمال، وإن كانوا سوى ذلك تألفهم بما يتناسب وحالهم²، فكان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يتألف بالعفو ممثلاً قول الله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199] وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: 34]، ذلك أن الرحمة والترفق بالمدعويين من أهم الأساليب الدعوية التي تقرب الداعية للمدعويين وتقربهم منه، فيكون ذلك أدعى إلى قبول دعوته لذلك كانت هذه الأساليب التي تقوم على التلطف والرحمة بالمدعويين من أهم السبل التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم وركز عليها في دعوته قال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرحمة وأمر بها فقال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»³. فلا ييأس الداعية من رد دعوتها والإعراض عنها لأنه رحيم بالناس مشفق عليهم من عذاب الله وغضبه، وقد مدح الله تعالى نبيه في مواضع كثيرة لترفته ورحمته بالناس في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 109]⁴.

¹ - عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص 86.

² - إبراهيم المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص 92.

³ - الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب: البر والصلة، رقم الحديث: 7274، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط 1 بيروت، دار الكتب العلمية، 1411 هـ، ج 4، ص 175.

⁴ - حنان بدور: "الآثار السلبيّة لمخالفة الحكمة في الدعوة إلى الله وسبل معالجتها"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد 13، العدد: 4، 18/02/2017م، ص 359.

ج- منهج وأسلوب الجدل والتي هي أحسن :

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتمد أساليب التحبيب والترغيب عند بدئه في عرض دعوته على المدعوين أول مرة، حتى إذا أصرّ المدعوون على العناد وردّ الحق وإثارة الشبهات حول صدق دعوته، كان لا بد له من الانتقال بالدعوة من عرضها عليهم بلين ورفق إلى مناظرتهم ومحاورتهم والتدرج في جدالهم والتي هي أحسن¹. وهذا ما سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم مهتدياً بهدي من

سبقة من أولي العزم من الرسل حيث جادلوا أقوامهم في بيان الحق وإبطال الشبه ، وقد أشار الله تعالى إلى هذه المجادلة في كتابه الكريم، فقال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام الذي جادله قومه في ذات الله تعالى فأفحمهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: 258]، ولما جادلت قريش النبي صلى الله عليه وسلم وبدأت تثير الشبهات حول رسالته كان التنزيل الكريم يؤيده عليه الصلاة والسلام في دحض شبهاتهم وإبانة الحق، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]، أي : لا يأتونك بشبه في إبطال أمرك إلا جئناك بالحق الذي يدحض شبهة أهل الجهل، ويبطل كلام أهل الزيغ. ومما يدل من سنته على قيامه صلى الله عليه وسلم بدحض شبهة المشركين ما رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففتته فقال: يا محمد أيعث هذا بعد ما أرم، قال: «نعم، يبعث الله هذا، يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ»²، فنزلت الآيات ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: 77].

د- منهج وأسلوب التدرج من المحسوس المشاهد إلى المعقول :

ثم تدرجت الدعوة الإسلامية واتجهت في سياق دعوة منكري البديهيّات العقلية؛ "بالتدرج من المحسوس المشاهد إلى المعقول لتجسيد المعاني المعقولة في صورة المحسوسة من أجل تقريبها إلى

¹ - إبراهيم المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص77.

² - الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، باب تفسیر سورة یس، رقم الحدیث 3606، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، بیروت دار الکتب العلمیة، ط1، 1411هـ، ج2، ص466.

الأفهام ومساعدة الدعاة على فهمها وإيصالها إلى ذهن المدعو، ذلك أن النفوس تألف بالنظائر والأشباه وتنفر من الغربة والوحدة وعدم التنظيم، لأن التدرج من المحسوس إلى المعقول يبرز المعنى ويوضحه بحيث لا يستطيع جحده أو إنكاره، وبالتالي يكون ادعى لقبول الحق والاستجابة له¹. لهذا خاطب القران الكريم منكري البديهيّات العقلية عن طريق مخاطبة الحس فيهم، فقد جاءت آيات كثير تدعوهم إلى التأمل والتدبر في أنفسهم وفي آفاق الكون وتدعوهم إلى إعمال الفكر للمشاهدة والنظر في خلق الله تعالى وعظيم سلطانه، وإلى ضرورة تحرير العقل من عبودية الإتياع والتقليد، للوصول إلى الحقيقة².

ومثال ذلك استعانة القرآن الكريم بالأدلة المحسوسة على قدرة الله تعالى على إعادة البعث في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:57]، "وفي هذه الآيات الكريمة تدرج من المحسوس المشاهد وهو إحياء الأرض الجذباء القاحلة للغيث عليها، وهو أمر حسي يتجدد بين يدي الناس حيث يشاهدون فيه آثار قدرة الله تعالى على الإحياء المتجدد، وهو أمر معقول وبرهان قاطع، ومن أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، لأن من أخرج النبات وجعل في الأرض من كل زوج بهيج، فأحيا الأرض بعض موتها قادرا على إحياء الناس بعد موتهم"³.

أما السنة المطهرة فقد جاء فيها التدرج من المحسوس إلى المعقول كما يتضح في هذا الحديث فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي

¹ عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص146.

² محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط 25، دمشق، دار الفكر، 1426 هـ ص73.

³ المرجع نفسه، عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص152.

أُرْسِلْتُ بِهِ¹. "وفي هذا الحديث الشريف يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم الهدى والعلم الذي بعث به وهو أمر معقول بالمطر المفيد الذي يحيى به البلد الميت، وهو أمر محسوس مشاهد، لأنه يحيى القلوب وإحياء القلوب أمر معقول، كما يحيى المطر الأرض لأن إحياء المطر الأرض أمر محسوس مشاهد.

وشبه من ينتفع بالعلم الذي بعث به وهو أمر معقول بالأرض الطيبة التي تقبل الماء وتنبت الكلاً والعشب وهذا أمر محسوس مشاهد، وشبه من يحمل العلم يعلمه ولم ينتفع به، وهذا أمر معقول بالأرض الصلبة التي تمسك الماء فينتفع به الناس، ولكنها لا تقبلها ولا تنبت الكلاً والعشب. وشبه من لم يتعلم ولم يعمل وهو أمر معقول بالأرض المستوية التي لا تمسك الماء ولا تنبت كلاً ولا عشاباً، وذلك شر الناس لا ينفع ولا ينتفع به².

ومما سبق يتضح لنا أنه ينبغي على الدعاة اليوم أن يحسنوا اختيار الأساليب المناسبة لطبيعية المدعوين، وذلك بالنظر إلى حالهم وزمانهم ومكانهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم يستخدم الأساليب الدعوية وينوع بينها، وكان منطلقه في ذلك عرض دعوته باللين والرفق بالمدعوين وتحبيبهم وترغيبهم عند بدئه بعرض دعوته عليهم أول مرة، فإن استجابوا لدعوته تعهد بالعناية بهم وتعليمهم وتربيتهم، فإن سلكوا معه أساليب التكذيب وإثارة الشبهات ورفضوا الاستجابة للحق تدرج في دعوتهم بأساليب أكثر شدة من خلال مجادلتهم والتي هي أحسن لمخاطبة العقل فيهم وإفحامهم بالأدلة الحسية والبراهين العقلية ممثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]. قال ابن القيم: «جعل الله مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمستجيب القابل للذكي الذي لا يعاند الحق ولا ياباه يدعى بطريقة الحكمة والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب والمعاند يجادل بالتي هي أحسن»³.

¹ - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: بيان ما بعث به النبي، رقم الحديث: 2282، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج4، ص1787.

² - عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص148.

³ - سعيد علي ابن وهف القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، ج1، ص716.

2 - خاصية التدرج في الوسائل الدعوية:

إن المقصود بخاصية التدرج في الوسائل الدعوية: هو الاستعانة بجميع ما يعين الداعية من أمور حسية ومعنوية، وبالتالي الاستعانة بكل الوسائل الدعوية الممكنة في التبليغ والدعوة إلى الله عزّ وجلّ وذلك بالانتقال بين هذه الوسائل خطوة بخطوة ودرجة درجة، حسب الإمكانيات المتاحة شريطة أن تكون هذه الوسائل الدعوية موافقة للشريعة الإسلامية¹.

أ- وسيلة القول أو الكلام :

إن المتأمل لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يدرك أن الوسائل التي اعتمد عليها في تبليغ الدعوة قد جاءت متدرجة كأنها حلقات في سلسلة، كل حلقة تقود إلى الوسيلة التي تليها، فأظهرت لنا هذه الوسائل طبيعة التدرج في السير خطوة بخطوة. حيث بدأ صلى الله عليه وسلم بوسيلة القول واعتمدها واستعان بها دون غيرها منذ بداية دعوته؛ فدعا أهله وقربته بالقول سرا وأهل مكة عامة بالقول جهرا ثم حين أمره الله بعرض نفسه على القبائل قام ينادي بأعلى صوته «أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا لَأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلِحُوا»². وبالقول استطاع النبي صلى الله عليه وسلم إقناع وفد الأنصار بدعوة الحق حين التقى بهم فقد قال لهم كما روى ابن إسحاق: «أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن»³، واستمرت هذه الوسيلة معه طيلة العهد المكّي.

ب- وسائل بلاغية مختلفة:

ثم اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وسائل بلاغية مختلفة؛ اتخذها بغرض تبليغ الدعوة إلى العالم الخارجي، وذلك بعد أن هاجر إلى المدينة واستقرت أوضاع المسلمين. حيث تطورت الوسائل الدعوية التي اعتمدها النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة من عمر الدعوة، من استعانته بوسيلة القول فقط إلى استعانته بالكتب والرسائل والوفود والبعوث، حيث أدت هذه

¹ - المرجع السابق ، ص 100.

² - الدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب البيوع، باب المواقيت، رقم الحديث: 2976، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: 1، لبنان مؤسسة الرسالة، 1424 هـ، ج 3، ص 462.

³ - عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (د.ط.)، بيروت، دار الجيل، 1411 هـ، ج 2 ص 277.

الوسائل دورا هاما في نقل الدعوة من مركزها إلى خارج محيط العرب، وكانت وسائل هامة لإسماح الناس نبأ الدعوة¹.

فقد روى مسلم عن أنس رضي الله عنه «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَ، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»². فدل هذا الحديث على مكاتبتة صلى الله عليه وسلم للكفار، واتخاذ الكتب في دعوتهم إلى الإسلام. وفيما يلي نص كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كما أورده البخاري: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ»³. «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» [آل عمران: 64]، فكان هذا الكتاب وأمثاله وسيلته صلى الله عليه وسلم في دعوة هؤلاء القوم، وتبليغهم الإسلام، وأشار إلى ذلك ابن حجر بقوله: « وفي الحديث الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة، وأن الكتابة تقوم مقام النطق»⁴. فالنبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ كافة الأسباب المؤدية إلى نجاح الدعوة في هذه المرحلة ليكون لهذه الوسائل دور فاعل في الدعوة والتبليغ؛ فاختار دعاة مخصوصين لحمل هذه الكتب يستطيعون بيان الدعوة والدفاع عنها حين يسألون، واختار صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة يختم به تلك الرسائل حين علم أن الملوك لا يقرءون كتاباً إلا إذا كان محتوماً⁵.

والذي يحسن ملاحظته بهذا الصدد أن وسيلة الكتب والرسائل أفادت كثيراً في تبليغ الدعوة فقد كانت سبباً في إسلام بعض ممن كتب إليهم صلى الله عليه وسلم، فهي إذا وسيلة دعوية صالحة

¹ - إبراهيم المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص48.

² - مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار، رقم الحديث 1774 تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج3، ص 139.

³ - البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف بدء الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 7 تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط 1، بيروت، دار طوق النجاة، 1422هـ، ج1، ص8.

⁴ - ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج6، ص109.

⁵ - عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص112.

لكل عصر، متى ما قام بها من يستطيع البيان والبلاغ؛ فقد أفادت الدعوة الإسلامية كثيرا منذ دعوته صلى الله عليه وسلم إلى اليوم .

"وكذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم من البعوث والوفود وسيلة بلاغية لنشر رسالة الإسلام، و تعليم أحكامه وشرائعه للناس، حيث بعث صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة عددًا من فقهاء أصحابه إلى شتى المناطق و الجهات، وخاصة جنوب الجزيرة، للقيام بمهمة تبليغ الإسلام ولتعليم الناس في أمور دينهم، وذلك أن الحاجة كانت ماسة إلى معلمين ودعاة لزيادة عدد المقبلين إلى دين الإسلام، وكان من هؤلاء الدعاة أبو عبيدة بن الجراح، فقد بعثه صلى الله عليه وسلم مع وفد أهل نجران، وكذلك كانت مهمة معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن للدعوة والتعليم. وبهذا كان للوفود والبعوث والكتب والرسائل دور بارز في نشر الدعوة الإسلامية وامتدادها؛ فقد كانت هذه الوسائل الدعوية سبيلا موصلا لنقل الدعوة من مهداها إلى شتى

أنحاء العالم، وتبليغها والصدع بها في كافة الآفاق، فكانت نتيجة ذلك أن جاءت الوفود من شتى بقاع الأرض تباع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام"¹.

الآثار والدروس المستفادة من خاصية التدرج في المناهج والأساليب والوسائل

الدعوية:

اتضح لنا مما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ ذروة الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى فهو القدوة والأسوة لمن تبعه ودعا بدعوته، سواء من حيث عنايته صلى الله عليه وسلم بالتخطيط لأمر الدعوة، أو التنوع في أحده وتخييره للمناهج والأساليب الدعوية المناسبة، مراعيًا خاصية التدرج فيها حسب ظروف الدعوة المكانية والزمنية لمعالجة واقع عصره، ومستخدمًا لجميع أنواع الوسائل المشروعة في عصره غير زاهد بشيء منها. فالقاعدة إذًا في تحديد المناهج والأساليب واتخاذ الوسائل في الدعوة إلى الله خاضعة أساسًا لظروف الدعوة والداعية، المكانية والزمنية، وقد خَلَصْنَا فيما يأتي لأهم المحطات التي يجب على الدعاة الوقوف عليها في اختيارهم لأساليب الدعوة ووسائلها:

¹ - إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص 67/66.

1 - تشخيص وتحديد الداء في المدعوين ومعرفة الدواء: "ذلك أن الطبيب الحاذق

الحكيم يشخص ويعرف الداء أولاً، ثم يصف ويعين العلاج حسب الداء، والداعية إلى الله تعالى هو طبيب الأرواح والقلوب فعليه أن يستثمر خاصية التدرج في معالجة الأرواح، والداء عند الناس قد يكون شركاً بالله تعالى، وقد يكون معصية، فعلى الداعية أن يعطي الدواء على حسب الداء، فإن دواء الشرك الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله وبما جاء عنه وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، ودواء المعاصي كبائرهم وصغائرهم التوبة إلى الله تعالى والإقبال إليه والإكثار من الطاعات المكفرة للسيئات وهكذا لكل داء دواء"¹.

2 - البدء بتحبيب المدعوين وترغيبهم في الدعوة: وذلك بأن يعتمد الداعية على أساليب المنهج

العاطفي خاصة عند بدئه في عرض دعوته على المدعوين، لأن النفوس البشرية جبلت على حب من أحسن إليها، كراهة من أساء إليها، فليس من الحكمة البدء بعرض الدعوة بأساليب الشدة والغلظة لأن هذا سيدفع بالنفوس إلى المكابرة والإصرار على الذنب، فلا بد إذن من مراعاة اللين والرفق عند البدء بعرض الدعوة على المدعوين. فالمنهج العاطفي بأساليبه القائمة على الرحمة و الترغيب والترهيب والرأفة واللين، صالحاً لمخاطبة كافة الناس وجميع أصناف المدعوين، "سواء في دعوة المسلمين و أهل الكتاب أو الوثنيين، وذلك لسعة دائرته مقارنة مع المنهج العقلي والحسي، فدائرته كل من هذين المنهجين تكاد تكون محصورة في المواطن التي ذكرناها سابقاً، والمتمثلة بالنسبة للمنهج العقلي في: المعتدين بعقولهم والمتأثرين بالشبهات، وبالنسبة للمنهج الحسي في دعوة العلماء والمختصين في العلوم التطبيقية أو المتجاهلين للسنن الكونية"².

3 - إزالة الشبهات التي تمنع المدعوين من رؤية الداء والإحساس به: ذلك بتوضيح

الحقائق ودحض الشبهات، خصوصاً ما تعلق منها بجانب العقيدة كونها الأساس المتين الذي يقوم عليه الدين، وذلك لأن الشبهات تثير الشك والارتياب في نفوس المدعوين وبالتالي عدم الثقة بصدق الداعية وحقيقة ما يدعو إليه، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له أو تؤخر من الاستجابة والاقتناع بهذه الدعوة³.

¹ - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، ص98.

² - حامد بن أحمد بن علي العامري، الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ج1، ص159.

³ - المرجع نفسه، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، ص98.

4 - تخيير المناهج والأساليب الدعوية المناسبة لأصناف المدعوين: وذلك بأن يبدأ

الداعية بعرض دعوته على المدعوين باختيار الأساليب الدعوية المناسبة لكل صنف من أصناف المدعوين ذلك أن الداعية الحكيم هو الذي ينجح في التعرف على مداخل النفوس وطبائعها، ليستعمل معها أنسب الأساليب الدعوية التي تتوافق مع احتياجاتها وتجعلها أكثر قبولاً واستجابة لدعوته وتأثراً بها، إذ أن جميع الأساليب الدعوية التي جاءت كثيرة ومتنوعة في القرآن الكريم والسنة النبوية حتى تتوافق احتياجات النفوس و الطبائع المختلفة للناس، يقول ابن باز¹: « يعمل الداعي ما يستطيع من هذه الأساليب ولو بادر بالتأليف بالمال، فيعطيهم المال حتى يسلموا فالرسول صلى الله عليه وسلم في مكة كان فقيراً وليس عنده مال حتى يعطيهم، فلما أفاء الله عليه في حنين أنفق على الناس وتألّفهم، فالحاصل أن الأمور الآن استقرت، أما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد أخذ بالتدرج لعدم قدرته، ولأن ذلك في مقتضى المصلحة مع الكفار لعجزه عن الجهاد وعجزه عن المال، وقلة الأنصار، فلما كثر الأنصار وتيسر المال جاهداً، وبذل المال، وتألّف الناس»².

5 - تخيير الوسائل الدعوية المناسبة: خاصة أن وسائل الدعوة إلى الله تعالى تعددت

وتنوعت في هذا العصر، تبعاً للتقدم العلمي، يقول ابن باز: « في وقتنا الحاضر يسّر الله عز وجل أمر الدعوة أكثر، بطرق لم تحصل لمن قبلنا ، فأمر الدعوة اليوم متيسرة أكثر ، وذلك بواسطة طرق كثيرة وإقامة الحجّة على الناس اليوم ممكنة بطرق متنوعة ، مثلاً عن طريق الإذاعة ، وعن طريق التلفزة وعن طريق الصحافة وهناك طرق شتى »³. "لهذا ينبغي على الدعاة أن يدركوا بأن هذا التنوع في وسائل الدعوة هو من أجلّ نعم الله تعالى على الأمة الإسلامية، ذلك أن المدعوين يختلفون في تفكيرهم واهتماماتهم. فمن حكمة الداعية و فطنته أن يراعي في انتقاء الوسائل الدعوية تلك التي تكون مناسبة لزمانه ومكانه وللمدعوين، فلا يستخدم وسيلة فوق مداركهم، ولا دونها، ولا ما لا يتناسب مع بيئتهم، وأن يحرص كل الحرص على مواكبة تطور هذه الوسائل، وإتقان بعض التقنيات المتطورة

¹ - بن باز: عبد العزيز بين عبد الله بن باز، ولد (1330 - 1420 هـ) بالسعودية، قاض و فقيه يعد من كبار علماء السنة في عصره، من أهم مؤلفاته الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، ونواقض الإسلام، ينظر: عبد الرحمن بن يوسف الرحمة، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، ط1، السعودية، دار ابن الجوزي، 1428هـ، ص10.

² - نقلاً عن: إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص149.

³ - عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (التوحيد وما يلحق به)، تحقيق: محمد بن سعد الشويعر، ط2 الرياض، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، 1421هـ، ج8، ص403.

التي يمكن الاستفادة منها في زيادة فاعلية هذه الوسائل الدعوية والتوسيع من أثرها في مجال الدعوة إلى الله تعالى¹.

6 – تعهد المستجيبين من المدعوين: "وذلك بالعناية بهم وتعهدهم بالتربية والتعليم والتوجيه، لتحصل لهم المناعة ضد دأئهم القديم. ومن أعظم سبل التربية المؤثرة: هي الاتصال الدائم بكتاب الله عز وجل تلاوة وتدبرا فهما وتطبيقا، والاتصال الدائم بالسنة النبوية وسيرة السلف من الصحابة رضي الله عنهم"²، فدور الداعية في هذه المرحلة يتمركز في إعانة المستجيبين على الثبات على هذه الأمور العظيمة، والعناية بهم وتربيتهم على المنهج الإسلامي القويم.

¹ - عبد الرزاق درغام عيسى، "أهمية الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى"، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد 24، 2012م، ليبيا مركز البحوث والدراسات العلمية، ص 09.

² - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، ص 99.

المبحث الثالث:

آثار خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى

المطلب الأول: المقومات التي تعين الداعية على نجاح دعوته

المطلب الثاني: الآثار الايجابية لخاصية التدرج في الدعوة

المطلب الثالث: الآثار السلبية لغياب خاصية التدرج في الدعوة

آثار خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى

بعد أن حاولنا في المبحث الثاني، أن نعرض بعض النماذج من خاصية التدرج في ضوء القرآن والسنة النبوية، ومحاولة استنباط بعض الأسس المنهجية المهمة في الدعوة، والتي يمكن للدعاة الاستفادة منها واستثمارها في المجال الدعوي، سنأتي في هذا المبحث إلى محاولة توضيح بعض الآثار المترتبة والإسهامات الناتجة عند الأخذ بخاصية التدرج في المجال الدعوي حتى يتسنى للدعاة العمل على قياس هذه الآثار وتقييمها من حين لآخر، من أجل تطوير منهجية العمل الدعوي، والحصول على الثمار الطيبة والمرضية. فما هي أهم المقومات التي تعين على إنجاح دعوته، وما هي أهم الآثار الإيجابية التي يمكن أن تترتب عن الأخذ بخاصية التدرج في الدعوة؟ وما هي أهم الآثار السلبية التي تنتج عند غياب خاصية التدرج في منهجية العمل الدعوي؟

المطلب الأول: المقومات التي تعين الداعية على نجاح دعوته

نقصد بالمقومات مجموعة الصفات والسمات التي يجب أن يلتزم بها الدعاة في دعوتهم إلى الله تعالى، حتى يكون لها أثرا حسنا وقبولا لدى المدعوين، والتي من شأنها أن ترقى بالعمل الدعوي، وتسهم في إنجاحه، والتي يمكن تلخيصها فيما يأتي:

أولا: حسن العلاقة مع الله تعالى

إن حسن العلاقة مع الله تعالى من أهم مقومات نجاح الداعية فهي قائمة على الإخلاص لله تعالى والافتداء بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم. كما أن الإخلاص في العمل شرط من شروط قبول العمل، كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: « **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى** »¹. وحتى تلاقي الدعوة مصداقية يلاحظها الناس، يجب على صاحب الدعوة أن يخلص نيته لله تعالى، ويقوي صلته بالله عز وجل، كما أن يجب عليه الاقتداء بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، لأنها تعد سببا في نيل مرضاة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: 31]. فالتميز الإيماني وقوة الصلة بالله إذن من أعظم أسباب نجاح الدعوة، إذ ليس النجاح بفصاحة اللسان، ولا قوة

¹ - البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي، رقم الحديث 1، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج 1، ص 4.

البرهان ولا كثرة الأعوان، بل هو مع ذلك بتوفيق الله الذي يخصه به عباده الصالحين¹. "فمتى ما أحسن الداعية علاقته بالله تعالى انعكس ذلك على قبول للناس له، وأنشرح صدره ورزقه الله علو الهمة والصبر، لأن الهمة إذا تعلقت بالحق تعالى، وكانت خالصة لوجهه عز وجل لا يمكن لأحد الوقوف في وجهها بإذن الله، ولا ربما رأينا أناس ليس لهم أساليب التدرج والقدرة على الإقناع والتأثير أو البلاغة والبيان الكثير، ممن يؤثرون على الناس وإنما هو القبول الذي كتبه الله تعالى لبعض عباده بسبب صدقهم معه إخلاصهم له وحسن علاقتهم به"².

ثانياً: حسن الخلق

إن للأخلاق مكانة كبيرة في الدين الإسلامي فهي تعطي صاحبها المروءة وتحبب إليه الناس ولهذا وصف الله عز وجل أفضل الدعاة نبيه محمد صل الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 04]. ويجب أن يكون صاحب الخلق الحسن صدوق اللسان، قليل الفضول، وقورا صبورا، بشوشا، يحب في الله ويرضى في الله، ويغضب في الله فهو يستر الكثير من سيئات الداعية وتبعا لذلك، قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»³. هذا وقد أمرنا الله تعالى بحسن الخلق، بل وأكد على ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَانِتِ الْمُخْبِتِ»⁴. فحسن الخلق من المقومات الضرورية التي تعين الداعية على نجاح دعوته، وسببا في تحبيب الناس له والاستجابة إليه، فالداعية بحسن خلقه يكسب ثقة الناس ويجذبهم إليه وإلى الدعوة بصفة عامة، فبأخلاقه الحسنة وحلمه وصبره وعفوه وصدقه يجذبهم إليه بكلامه الطيب. وحسن الخلق إنما هو تدرج لحصول الاستجابة لدى المدعويين، فبه ترقق القلوب وتلين الأفئدة وتفتح العقول لسماع الحق، والصد عن الباطل.⁵

¹ - علي بن عمر بن أحمد بادحدح، مقومات الداعية الناجح، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت)، ص 18.

² - مشاعل بنت فياض بن مشعل العنزي، التمهيد وأثره في قبول الدعوة، ص 167.

³ - أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، باب الميم، رقم الحديث 7697، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد القاهرة، دار الحرمين، (د.ت)، ج 7، ص 350.

⁴ - أبو محمد المصري، الجامع في الحديث، باب العزلة، رقم الحديث 507، تحقيق: مصطفى حسن حسين أبو الخير السعودية، دار ابن الجوزي، 1996م، ج 2، ص 604.

⁵ - المرجع نفسه، مشاعل بنت فياض بن مشعل العنزي، التمهيد وأثره في قبول الدعوة، ص 168.

ثالثاً: الإعداد الجيد للدعاة

إن من بين مقومات النجاح في العمل بخاصية التدرج في الدعوة الإعداد الجيد لموضوع الدعوة إعداد ينعكس أثره على المدعوين من أجل ضمان حسن استجابتهم وقبولهم للدعوة، فالتدرج بالمدعوين هو عمل يرتفع بدرجة إتقانه وحسن الإعداد له؛ ونقصد بذلك أن يرتب الداعية نفسه ويعدها بحسب مقدار الحاجة، ونوع الإقناع وموضوع الدعوة وظروفها و حال المدعو الذي توجه إليه هذه الدعوة، كما على الداعية أن يتحقق من قدراته في ذلك ومناسبة الموضوع ومداخل الإقناع التي سيستخدمها، ومن ذلك أن يرتب أفكاره ومعلوماته، ويعد البدائل قبل الدخول في هذا العمل الدعوي لتحقيق درجات عالية من النجاح¹.

إن من الإعداد الجيد للتدرج أن يبدأ بالتعرف على المدعوين، والتعرف على الأساليب المناسبة للدعوة سواء كان أسلوب عقلي، أو عاطفي، أو حسي، بالإضافة إلى معرفة نوع التدرج الذي سوف يسلكه مع المدعو، ومستوى الإقناع والتأثير الذي ينبغي أن يتوجه به إلى المدعو، كما لا يقتصر الإعداد الجيد على موضوع الدعوة والتعرف على المدعوين بل يتعدى إلى أبعد من ذلك بكثير فهو قبل كل شيء يبدأ بإعداد الداعية نفسه من خلال تعلم بعض المهارات الدعوية ومحاولة تطوير هذه المهارات بالتدرج. فتطوير الداعية لمهاراته الدعوية مطلب أساسي لنجاح الداعية فالمدعوين بشر بطبيعة الحال يحبون من يتفهم حقيقة ما يريدونه وما يحتاجونه، لذا على الداعية تلبية مشاعر المدعوين واهتماماتهم من خلال تَحْيَره لأحسن المداخل النفسية لدى المدعوين لإقناعهم بالحق وتطويرها لمهارته الدعوية والإعداد الجيد للموضوعات الدعوية². ومن أهم هذه المداخل النفسية ما يأتي:

- "البدء بالأمور المشتركة والمتفق عليها وبخاصة ما يمثل أهمية لدى المدعوين؛ فهذا تدرج للإقناع والتأثير ينتج عنه إزالة الحواجز وتضييق الفجوات بين الداعية والمدعوين، كما ينتج كسبا لعقله وعاطفته فعلى سبيل المثال يظن الكثير من النصارى أن المسلمين يكرهون المسيح عليه السلام وأنهم أعداؤه، ولك أن تتصور البدء ببيان موقف المسلمين من المسيح عليه السلام وبيان أنه ليس مسلماً

¹ - إبراهيم بن صالح الحمدان: "الإقناع والتأثير دراسة تأصيلية دعوية"، مجلة الإمام، العدد 46، محرم 1426هـ، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، السعودية، ص264.

² - مشاعل بنت فياض بن مشعل العنزي، التمهيد وأثره في قبول الدعوة، ص169.

من لم يؤمن به، وبمعجزة مولده وبعظيم منزلته ومكانته عند الله تعالى وعند المؤمنين وغير ذلك من المسائل المشتركة".¹

- "بيان أن الحق يمكن أن يكون في كلام أحد الطرفين ، كما أن الباطل يمكن أن يكون عند أحدهما وذلك بالإنصاف والعدل ومن سبل التدرج مع المخالف، وهي مظهر إيجابي في تناول شتى القضايا المختلف فيها ، وبخاصة في الإقناع والتأثير، بل إنها من الوسائل المتدرجة في إقناع المدعو ليقبل باب الحوار أو المناظرة؛ فالمطلع على حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالفين يجد أنه استخدم أروع الأساليب و تدرج مع مدعويه؛ فكان صلى الله عليه وسلم يستمع ويحاور ويقنع ويوضح بأدب"² والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ:24]، قال الطبري: « وقد علم أنه على هدى، وأنهم على ضلال مبين، ولكنه رفق بهم في الخطاب، فلم يقول أنا على هدى وأنتم على ضلال»³.

- "التدرج في الوصول لهدف الدعوة وقبول التجاوب وإن قل؛ والتعامل مع ذلك بإيجابية وتفاؤل باعتبار ذلك تدرجا في الدعوة إلى الحق، فكل داعية يحرص على أن تتحقق أهدافه على أرض الواقع كي تقر عينه، ويطمئن بأن جهوده لم تذهب هباء مثيرا؛ فأمال الدعاة غالبا ما تكون كبيرة فنجد فيهم من يريد حرق المراحل واستعجال قطف الثمار؛ فالمطلوب هو التخطيط المتقن للعمل الدعوي لتهيئة للمدعويين والتدرج بهم لقبول الحق تدرجيا. فهو لا يرهق كواهل الدعاة بل يحقق الإنجازات بنظرة متوازنة، وهذا يستدعي أن يكون الداعية عارفا قادرا متمكنا لما يدعو إليه"⁴.

رابعا: القدرة على استنتاج العلاقة بين الموضوعات الدعوية

إن الكثير من الدعاة ينظر إلى الأمور بطريقة سطحية ولا يحاول أن يطور من مهاراته وقدراته للربط بين مختلف الموضوعات الدعوية، ذلك أن الداعية الناجح وصاحب النظر الثاقب يقوم بإعادة تنظيم أو ترتيب العلاقات بين الموضوعات الدعوية وجعلها تعرض بطريقة متسلسلة؛ حتى يسهل عليه توظيفها بالطريقة التي تخدم الدعوة بأسلوب مشوق وتتلاءم مع احتياجات المدعويين حيث تعد هذه

¹ - المرجع السابق، ص169.

² - إبراهيم بن صالح الحمدان "الإقناع والتأثير دراسة تأصيلية دعوية"، مجلة الإمام، العدد 46، محرم 1426هـ، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، السعودية، ص265.

³ - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج20، ص402.

⁴ - عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، (د.ط)، دمشق، دار القلم، (د.ت)، ج3، ص138.

الطريقة الأكثر فائدة وجاذبية للمدعوين لسماع الحق وقبوله وتطبيقه، فعلى الداعية أن يكون مرنا في تفكيره ولا يكون ذا فكر جامد¹.

خامسا: مراعاة القدرات العقلية للمدعوين

وذلك بأن يدرك الداعية المستوى العقلي والإيماني لدى المدعوين، فقد يكون المدعو جاهلا بالإسلام كالأغبياء، لكن يوجد لديه استعداد تام للمعرفة والإيمان، وقد يكون عارفا بالإسلام لكنه يقتصر في التطبيق إما خوفا أو جهلا، إلى غير ذلك من أحوال المدعوين مما ينتج عنه التفاوت بينهم في المستويات الإيمانية والعقلية، وهذا يستدعي على الداعية اختيار الأساليب المناسبة والوسائل الدعوية الملائمة، لأن تأثر الناس يختلف باختلاف هذه الأساليب والوسائل²؛ فمن حماقة أن يُظن أن الناس متساوون في الفهم والاستجابة على درجة واحدة من الخطاب، لأنهم مختلفون في القناعات والطبائع؛ فمنهم المستريح جدا في الاستجابة بحيث يقبل الحق بدون ما تردد، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للإيمان، ومنهم البطيء جدا في الاستجابة لقبول الحق والأمثلة على هذا كثيرة، ويكفي ما قصه الله تعالى من أخبار قوم نوح فقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ومع ذلك لم يؤمنوا إلا القليل، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14]³.

سادسا: مراعاة الواقع

على الداعية أن يعتمد خاصية التدرج في الدعوة إلى التغيير، "وذلك لتفادي صدام هذه الدعوة مع الواقع المحيط بها، فالطريق إلى سيادة الحق في العهد النبوي لم يكن بإلغائه للواقع الجاهلي وحذفه بصفة كلية، وتنزيل الواقع الإسلامي محله، بل كان بالانطلاق من ذلك الواقع مع إبقاء ما فيه من قيم الخير، ورفع ما فيه من الفساد رفعا تدريجيا ليحل محله أيضا بالتدرج صورة الحق، مع المراعاة

¹ - مشاعل بنت فياض بن مشعل العنزي، التمهيد وأثره في قبول الدعوة، ص 186.

² - هند بنت مصطفى شريفى: "معايير تزيد من أثر الوسائل والأساليب الدعوية"، موقع الألوكة الشرعية، نشر يوم: 2016/01/19م، مأخوذ يوم: 2020/05/28م، 10:00 صباحا، www.alukah.net.

³ - عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص 181.

في ذلك الطبيعة البشرية الفردية أو الاجتماعية من سنة التشبث بالموروث ومشقة الانقلاب الفوري من طور السلوك لطور آخر مناقض له¹.

المطلب الثاني: الآثار الايجابية لخاصية التدرج في الدعوة

إن لخاصية التدرج أثارا إيجابية وإسهامات كبيرة في العمل الدعوي؛ فهو يترك نتائج حسنة وطيبة سواء على الدعوة أو المدعويين، كما يسهم في إعانة الداعية لتسهيل عرض دعوته على المدعويين وحصول الاستجابة والافتناع بها، حيث أن لها إسهاما بالغا على الدعوة إلى الله تعالى، وخاصة في هذا العصر لما كثر فيه من انحرافات عقديّة خاطئة حول الإسلام والمسلمين، فوجب الأخذ بخاصية التدرج لإقناع العقول بالدعوة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة حوله، ومن أبرز هذه الآثار الايجابية ما يأتي:

1 - تهيئة النفوس لسماع الدعوة:

فبفضل خاصية التدرج تتهيأ النفوس للسمع، فالحجة لا تقوم على المدعويين إلا بالسمع لذلك أمر سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بإجارة المستجير من المشركين، لأن في إجارته تهيئة لنفسه لسماع الدعوة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:06]، لذا أمر الله تعالى بكف القتال لمن أظهر الرغبة أو أراد أن يسمع كلام الله، وجعل الهدف من إجارته إسماعه لكلام الله ليكون بذلك أول ما يقرع سمعه فيقع نفسه موقع التمكّن، فتقوم عليه الحجة. فبخاصية التدرج ومع الاهتمام بالآخرين تتهيأ النفوس لسماع الدعوة ومن ثم قبولها.²

¹ - هند بنت مصطفى شريفي، "معايير تزيد من أثر الوسائل والأساليب الدعوية"، موقع الألوكة الشرعية، نشر يوم: 2016/01/19م، مأخوذ يوم: 2020/05/28م، 10:10 صباحا، www.alukah.net.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (د.ط)، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984 هـ، ج10، ص117.

2 - توفير الجهد والوقت للحصول على الأثر المطلوب:

يجب أن يحافظ الداعية على وقته وجهده وماله فلا ينفق شيئاً من ذلك هدراً دون أن يعود بالمنفعة عليه أو على المدعو أو على مضمون الدعوة عامة، بل عليه أن يضع كل شيء في مكانه المناسب، ويعد ذلك من أهم الآثار الإيجابية. حيث يختصر على الداعية كثيراً من الجهد والوقت عند دعوته للمدعو، فيرى نجاح دعوته بفضل الله وتوفيقه. ومثال ذلك: فعن أبي إمامة رضي الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام شاب قال: « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَدْنُ لِي بِالزَّيْنَاءِ ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ ، وَقَالُوا: مَهْ ، مَهْ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، فَجَلَسَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَتُحِبُّهُ لِأُمَّتِكَ؟" ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ¹. والمتأمل في الحديث يدرك سماحة معاملة النبي صلى الله عليه وسلم في تربية النفوس، وحكمته في الإقناع والتأثير، ورفقه في إصلاح الأخطاء وعلاج ما بها من خلل، ومصارحته بلين ورفق، فالمصارحة تقطع مسافات كبيرة وتختصر كثيراً من الجهد والوقت في حل المشكلات التي تصادف الدعاة. فيجب على الداعية أن يعايش الواقع وأن يتدرج في إصلاح النفوس من أخطائها.

3 - سهولة الاستجابة للدعوة الإسلامية:

يتطلب من الدعاة العناية بالصورة الذهنية لدى المدعو سواء في شخصيته أو في تكوينه أو سمعته ليحصل له الاستجابة من المدعويين، أو في وسائله وأساليبه التي يتعامل بها معهم، واكتساب

¹ - أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، كتاب الصاد، باب حريز ابن عثمان، رقم الحديث 7679، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، (د.ت)، ج8، ص162.

كل ذلك له أهمية كبيرة تسهل وصول المعلومة والرسالة الدعوية وتمنحها المصدقية والاستجابة إلى ما يدعو إليه. ويظهر استخدام خاصية التدرج في دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واضحا جليا من خلال تقديمهم الأهم على المهم والعمل على تثبيت العقيدة في النفوس، لأن العقيدة الصحيحة ما انطبعت في نفس المدعو، وأيقن بصدقها وعمل بمقتضاها صارت سدا منيعا يقيه أن يوقعه في الحرام، ويكسبه سكينه البال وجعل منه شخصا سابقا إلى الخير والفضيلة، وهذا السلوك الراشد سينعكس ولا شك على أفراد المجتمع¹.

4 – المساعدة في ترسيخ المعلومة الدعوية:

إن قبول النفس للحق، واتعاظها بالمواعظ الحسنة يؤدي لاشك إلى رسوخها في الحق وثباتها عليه، ويدل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيْتًا﴾ [النساء: 66]. وقد ذكر الفخر الرازي² في هذا التثبيت ثلاثة أوجه:

- « أن ذلك أقرب إلى ثباتهم عليه، واستمرارهم، لأن الطاعة تدعو إلى أمثالها.
 - أن يكون أثبت وأبقى لأنه حق، والحق ثابت باق والباطل زائل.
 - أن الإنسان يطلب أولا تحصيل الخير، فإذا حصله يطلب أن يصير ذلك الحاصل ثابتا
- باقيا»³.

كما أن خاصية التدرج أيضا تتيح للداعية فرصة كبيرة لتعهد المستجيبين للدعوة الإسلامية وتبصيرهم بالمعالم الدينية الإسلامية الحنيفة وتثبيتهم عليه تدريجيا، وذلك بدعوتهم إلى دين الإسلام وتعليمهم معاملة ومعانيه وحملهم على العمل بما تعلموه، وصياغة سلوكه بمجابه ومقتضاه لأن الشيء إذا كان في ابتدئه سهلا حجب لمن يدخل فيه وتلقاه بانسباط.

5 – مراعاة قدرات المدعوين واستعداداتهم:

¹ مشاعل بنت فياض بن مشعل العنزي، التمهيد وأثره في قبول الدعوة، ص 174.

² فخر الدين الرازي: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري، أبو عبد الله، ولد بالري بإيران سنة (543هـ - 606 هـ)، إمام ومفسر متكلم، أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل: لقب بشيخ الإسلام. من أهم مؤلفاته مفاتيح الغيب، ومفاتيح العلوم، وتوفي في هراة. ينظر: عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، ط3، لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1409هـ، ج2، ص596.

³ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ، ج10، ص131.

إن خاصية التدرج تراعي استعدادات النفوس البشرية، وذلك بأن يقدم لها الداعية بما يتوافق مع قدرات واستعدادات المدعويين وما يناسبها من وسائل وأساليب تسهل قبول الدعوة وفهمها وتطبيقها. فقط كانت خاصية التدرج عاملاً أساسياً من عوامل ترسيخ الدعوة في النفوس، وثبات من آمن على الإسلام مهما عرضت عليه من المغريات مادية أو معنوية وهذا كان سبيل النبي صلى الله وسلم في عرض دعوته على الناس، فلم يقدم لهم الدعوة جملة واحدة فتنفر منها النفوس، وإنما كان يقدم الدعوة بالالتزام بخاصة التدرج حسب قدرات المدعويين واستعدادهم ليكون ذلك حافزاً لهم على الفهم والتطبيق معاً¹

6 - التيسير على المدعويين وتهيئتهم لغرض استمالتهم:

إن الأساس الذي ينبغي عليه أن تكون خاصية التدرج هو تقديم الدعوة للمدعويين شيئاً فشيئاً حتى إذا ما استوعب المدعو ذلك الشيء المقدم له انتقل معه إلى شيء آخر وهكذا. فليس من المعقول أن يطلب الداعية من المدعو تنفيذ كل الفرائض والتكاليف جملة واحدة، لأن ذلك يشق على النفس فيؤدي إلى نفور المدعو عدم استجابته وهو ما يعمل الداعية على تحاشيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا»². ولهذا كانت خاصية التدرج تراعي تيسير الذي جاءت به الدعوة الإسلامية لتكون سهلة وميسورة لكل من أراد الله هاديته فيسارع إلى الاستجابة والقبول رغبة واشتياقاً³.

من هنا يتضح لنا النتائج الإيجابية لخاصية التدرج فهي تساعد على ترتيب الأفكار واسترجاع وتطبيق المعلومة الدعوية عند الحاجة إليها. "فالواجب على الداعية أن يهتم بالتدرج بالمدعويين عند دعوتهم عن طريق استخدام كافة الوسائل والأساليب التي تعينه وتعين مدعويه على ترسيخ المعلومة الدعوية، كأن يقسم مثلاً موضوع الحديث تقسيماً منطقياً متوافقاً مع التسلسل المنطقي لأذهان البشر ليكون في أذهانهم ما يسمى بالخارطة الذهنية التي تساعد في استرجاع وتذكر المعلومة الدعوية عند الحاجة إليها"⁴.

1- عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص174.

2- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم الحديث 39، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج1، ص16.

3- المرجع نفسه، عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص174.

4- مشاعل بنت فياض بن مشعل العنزي، التمهيد وأثره في قبول الدعوة، ص177.

نرى من خلال ما عرضنا سابقا أن لخاصية التدرج آثارا إيجابية كثيرة ذكرنا منها: توفير الجهد والوقت للحصول على الأثر المطلوب، وسهولة الاستجابة للدعوة الإسلامية، والمساعدة في ترسيخ المعلومة الدعوية التي تعتبر في نظرنا من أهم الآثار، وتترك آثار طيبة في المدعوين وترسيخ أكثر في عقولهم واستجابة بإذن الله تعالى.

المطلب الثالث: الآثار السلبية لغياب خاصية التدرج في الدعوة:

إن غياب خاصية التدرج في المجال الدعوي ينجم عنه بلا شك آثارا سلبية تحد من تأثير وفعالية الدعوة الإسلامية، وبالتالي التقليل من فرص الاستجابة لدى المدعوين، الأمر الذي يحول دون بلوغ الدعوة لتحقيق أهدافها وغاياتها الرئيسية، كما أنه يمس الدعاة بشكل مباشر من خلال تثبيط نشاطهم وأثره الإرشادي والتوجيهي تجاه الأفراد ما يؤثر سلبا على المجتمعات الإسلامية ككل، وفيما يأتي سيتم عرض أهم هذه الآثار السلبية:

1- إن غياب خاصية التدرج وذلك من خلال إلغاء التمهيد قبل عرض الموضوعات الدعوية، يحد من استعداد المدعوين للسمع والقبول مهما توافرت شروط النجاح، فإن ذلك لا يعني على الصعيد العملي شيئا ما لم يترك استجابة وأثرا لدى الذين يشكلون حقل الدعوة. ومن ثم فإن الداعية يلزمه شعور قوي بالحاجة إلى المدعوين، والحرص على معرفة عوامل وأسباب استجابتهم، والسعي للوصول إليها وتطبيقها¹.

وبما أن خاصية التدرج هي أول ما يبدأ به في العمل الدعوي فإنه قد يترتب عن غيابها عدم النجاح في كل الجهود التي يقدمها الداعية بعده، ومثال ذلك أن يدخل الأستاذ في عرضه للمحاضرات في صلب الموضوع مباشرة، دون استعمال خاصية التدرج والتهيئة لما سيُعرض لاحقا، ما قد يترتب عنه استجابة قليلة أو منعدمة من طرف الطلاب، وربما مغادرة الطلاب بعد سماع الشطر الأول من المحاضرة، مما يدل على عدم تحقيق الأستاذ مبتغاه في تحقيق ما يدعو إليه، وكذلك يصح هذا المثال في خطبة الجمعة.

2- إن عدم الاهتمام بخاصية التدرج وعدم مراعاتها في منهجية العمل الدعوي يعد سببا من أسباب فشل الدعوة، وحائلا دون بلوغ غايتها وتأثيرها في نفوس المدعوين، وخصوصا إذا ما تعلق هذا الأمر بعدم مراعاة أحوال المدعوين وعدم الاهتمام بالفروق والاختلافات في طبائعهم. لذا فإنه

¹ - عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ج3، ص128.

من حكمة الدعاة التعرف والتقرب إلى المدعويين حتى يتسنى له استثمار خاصية التدرج في منهجيته الدعوية بما يتوافق مع طبائع المدعويين واستعداداتهم النفسية لقبول الدعوة؛ فغياب خاصية التدرج وعدم الوعي الكامل للداعية بأهميته قد يؤدي إلى خسران المدعو، بسبب سوء فهمه للدين، أو سوء أسلوب المبلغ للدعوة، لكون طريقة عرضها عليه كانت سببا في إثارته واستفزازه، وهذا قد يؤدي إلى معاداته للدعوة والدعاة، وقد يتجاوز ذلك إلى إيذاء الداعية والمسلمين والإسلام عامة وتشويه صورتهم لدى بقية المدعويين.

3- إن إهمال خاصية التدرج في العمل الدعوي يؤثر سلبا على سمعة الداعية ، مما يعرف عن بعض الدعاة بالأسلوب الممل الذي يدعو المدعويين إلى عدم سماع الداعية والنفور من الدعوة، وعدم التأثير فيهم، وعدم اهتمامهم بما يدعو إليه، ويعود ذلك سلبا على الداعية بالفشل والإخفاق واليأس والإحباط في عمله الدعوي، ويكون سببا في إضاعة وقته وجهده وماله دون الوصول إلى غايته¹.

4 - إن إهمال خاصية التدرج في منهجية العمل الدعوي، قد يترتب عنه شيء من الاندفاع والتسرع من قبل الكثير من الدعاة المتحمسين للوصول إلى تحقيق الأهداف الدعوية المسطرة، فعند الالتزام بخاصية التدرج يكون لها أثرا في إرشاد الداعية بعدم الاستعجال في قطف ثمار الدعوة. وإنما ينبغي عليهم التريث حتى تستكمل الدعوة الإسلامية الإعداد الجيد لها وتتمكن من نفوس المدعويين، لذلك جاء التوجيه القرآني للدعاة يحثهم على الأناة والصبر في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: 35]. إذ أن الاستعجال بدعوة الناس إلى شرائع الإسلام في وقت واحد يؤدي إلى عدم الاستجابة والنفور من الدعوة، بل إن العجلة في قطف ثمارها قد تमित الدعوة في مهدها، ولهذا كانت خاصية التدرج من أنجع السبل لتمكين المدعو من تنفيذ ما يؤمر به وما ينهى عنه².

5 - إن سير الدعوة الإسلامية بدون تخطيط على الورق معناه الفوضى وعدم الانضباط وعدم الالتزام بخاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، فالكثير من الدعاة اليوم لا يقومون بتقسيم عملهم الدعوي قبل الشروع به، وفق مراحل متدرجة يحددون فيه أولوياتهم ويرتبون به أهدافهم

¹ - مشاعل بنت فياض بن مشعل العنزي، التمهيد وأثره في قبول الدعوة، ص196.

² - عبد الله عياد صبر العروي، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، ص192.

وتطلعاتهم حيال مستقبل دعوتهم في مراحلها قادمة، ويكتفون بمجرد العرض العشوائي لمختلف الموضوعات الدعوية دون تأمل أو تفكير عميق في ترتيبها وتنظيمها بما يتوافق احتياجات المدعوين في كل مرحلة ، وهذا بلا شك سيؤدي لنفور المدعوين والدوران بهم في حلقة مفرغة دون الوصول إلى نتيجة مرضية¹.

إن الساحة الدعوية اليوم بحاجة ماسة لخطط محكمة ترسم ملامح الدعوة الحالية وخطواتها المستقبلية، والتي يراعى فيها فقه الواقع والتحديات الحالية والمستقبلية التي تقف عقبة أمام الدعوة الإسلامية، وتنافسها في الرغبة للوصول إلى عقول الناس وقلوبهم فالتخطيط المحكم هو ما يحمي الدعوة من العشوائية وينظم جهودها الدعوية ويزيد من آثارها الإيجابية².

وفي خلاصة هذا المبحث نصل إلى أن الآثار الإيجابية لخاصية التدرج في العمل الدعوي تعتبر كنزا من حيث القيمة فهي الجهد والوقت الذي لا يقدر بثمن، كما تعد من بؤادر الاستجابة لدى المدعو، فهي الغاية والهدف من الأخذ بهذه الخاصية. فالداعية إلى الله تعالى له دور مهم في إحداث الاستجابة لدى المدعوين، وذلك من خلال عنايته بخاصية التدرج سواء في طريقة إبلاغها للمدعوين أو في موضوع الدعوة أو في المناهج والوسائل والأساليب الدعوية التي يستعين بها على تبليغ الدعوة إلى المدعوين ، وترك هذه الخاصية يترتب عنه آثار سلبية في شتى مناحي وجوانب الدعوة إلى الله تعالى؛ فآثارها تمس كل من الداعية والمدعو وأهداف الدعوة وغايتها الكبرى لذا يجب الحذر من إهمالها وعدم الأخذ بها.

¹ ناصر بن سعد السيف: "معوقات الدعوة المعاصرة"، موقع الألوكة الشرعية، نشر يوم: 2018/04/13م، مأخوذ يوم: 2020/05/28م، 10:30 صباحا، www.alukah.net.

² نبيل محمد درويش وآخرون، أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية تحليلية، (د.ط)، (د.ن)، 2019م، ص229.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تصلح الأحوال وبياعته تكتمل الأمور وتستقيم، فإننا نحمد الله على توفيقه وعونه أن يسر لنا سبحانه وتعالى إتمام هذا البحث، والذي تمحورت إشكاليته حول ماهية خاصية التدرج، وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى. وبعد البحث والتقصي توصلنا إلى أن خاصية التدرج تعني البدء بتقديم الأمور المهمة في الدعوة إلى الله ثم الانتقال إلى غيرها شيئاً فشيئاً حسبما تقتضيه أحوال المدعوين وظروفهم، بغية الوصول إلى الغاية المنشودة بطرق مشروعة كما أن لخاصية التدرج آثار إيجابية وإسهامات كبيرة في العمل الدعوي؛ فهي تترك نتائج حسنة وطيبة سواء على الدعوة أو المدعوين، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها ستذكر فيما يأتي:

1. أن خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى من أهم الأمور الظاهرة والمستمدة من القرآن الكريم، ومن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا كانت ولا تزال من أهم الخصائص الدعوية التي يُستعان بها من أجل نجاح الدعوة الإسلامية.

2. أن الدعوة الإسلامية تميزت بخاصية التدرج من ناحية إبلاغها للمدعوين، ومن ناحية عرضها للموضوعات الدعوية، ومن ناحية اعتمادها على المناهج والأساليب والوسائل بغرض أخذ المدعوين تدريجياً إلى سبيل الهدى والرشاد.

3. أن خاصية التدرج في إبلاغ المدعوين تقتضي البدء بإصلاح النفس أولاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11] ثم دعوة الأقرب فالأقرب، ثم التدرج بعد ذلك لدعوة من سواهم من المدعوين.

4. أن خاصية التدرج في موضوع الدعوة منطلقها الأساسي البدء بالدعوة إلى التوحيد وتصحيح المفاهيم الباطلة، ثم الانتقال بالدعوة إلى الالتزام بالشرائع الإسلامية، ثم الانتقال لتناول بقية الموضوعات الدعوية مع مراعاة أحوال المدعوين وتحديد الأولويات وترتيب الاهتمامات وضبط الجرعات الدعوية من حيث الكم والكيف.

5. أن خاصية التدرج في المناهج والأساليب والوسائل الدعوية تقتضي على الدعاة تنظيم العمل الدعوي وفق خطة دعوية مضبوطة توازن بين اختيارهم للمناهج والأساليب الدعوية وبين الإمكانيات المادية المتوفرة بما يتلاءم مع الظروف المكانية والزمانية للدعوة واستعدادات المدعوين.

6. يوجد مجموعة من المقومات الدعوية التي يجب على الدعاة التحلي بها في دعوتهم إلى الله تعالى بصفة عامة، وعند أخذهم بخاصية التدرج بصفة خاصة ذلك حتى يكون لدعوتهم أثراً طيباً

وقبولا لدى المدعويين، ومن بين هذه المقومات: حسن الصلة بالله عزّ وجل وإخلاص العمل له والإعداد الجيد ومراعاة الواقع والقدرات العقلية والإيمانية لدى المدعويين قبل الشروع في العمل الدعوي.

7. إن لخاصية التدرج آثارا إيجابية في الدعوة إلى الله تعالى متى ما استعملت وفق ضوابطها الشرعية وفي أطرها المحددة والمتاحة، من خلال تهيئة النفوس لسماح الدعوة وكذا التيسير على المدعويين وتهيئتهم لاستمالتهم بغرض حصول الاستجابة للدعوة الإسلامية، كما تساعد على ترسيخ المعلومة الدعوية وتعتبر من أهم الخصائص التي تعين الدعاة لتحقيق أهدافهم الدعوية بأقل جهد ووقت.

8. إن إهمال خاصية التدرج في العمل الدعوي وعدم مراعاتها فيه منهجيا يعد سببا من أسباب فشل الدعوة الإسلامية، وحائلا دون بلوغ غايتها وأهدافها الرئيسية، وبل وقد ينتج عنه تشويه سمعة الإسلام والمسلمين سواء في الأوساط الإسلامية أو الغربية.

التوصيات:

1. ضرورة التزام دعاة اليوم للأخذ بخاصية التدرج في منهجية العمل الدعوي، وذلك اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي استثمر هذه خاصية التدرج على أحسن وجه للتغيير من الواقع الجاهلي إلى الواقع الإسلامي بسلاسة دون إحداث أي انهيارات في النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

2. ضرورة تحلي الدعاة بحسن الخلق وأن يراعوا في دعوتهم أشد المراعاة كل ما يصدر منهم من كلام أو سلوكات، كما يجب عليهم أن يتحلوا بالحلم والتغاضي والصبر عما ينالهم من الأذى في سبيل دعوتهم إلى الله تعالى.

3. نوصي بضرورة عناية الدعاة بموضوع التدرج في الدعوة إلى الله تعالى من خلال التوسع في دراسته وإخراجه من إطاره النظري إلى إطاره العملي بما يعود بالنفع والخير على الدعوة والإسلامية، لأن هذا الموضوع بحاجة لإخراجه للناس بصورة موسعة من جميع جوانبه.

4. كما نقترح بضرورة العمل على عقد دورات تدريبية للعاملين في مراكز الدعوة لرفع مستواهم العلمي وتدريبهم لتطوير مهارتهم الدعوية للأخذ بخاصية التدرج في دعوتهم إلى الله تعالى، واستثمارها بشكل يزيد من آثارها الإيجابية.

وفي ختام هذا البحث نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من اطلع عليه والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام

رابعاً: فهرس قائمة المصادر والمراجع

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
02	104	آل عمران	﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
02	105	البقرة	﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾
03	25	الأنفال	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾
03	09	الحشر	﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾
05	95	النساء	﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾
05	182	الأعراف	﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾
05	76	يوسف	﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾
07، 06	29	الفتح	﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾
06	17	غافر	﴿وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ﴾
06	50	الروم	﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
07	110	الإسراء	﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾
07	221	البقرة	﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾
09	01	العلق	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾
09	04 .01	المزمل	﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْتَلُّ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ رُدِّ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾
09	05	المزمل	﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلاً﴾
09	07	المدثر	﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾
11	16	التغابن	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
11	286	البقرة	﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾
11	28	النساء	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾
11	119	الأنعام	﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ﴾
12	145	الأنعام	﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

13	14	المؤمنون	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾
13	37	يس	﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾
13	44	النور	﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾
14	21	الزمر	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾
14	32	الفرقان	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾
21	09	الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾
24	22	الزخرف	﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾
26	28	سبا	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
26	67	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾
27	44	البقرة	﴿اتَّمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَحْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
27	214	الشعراء	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
28	55	الذريات	﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
28	108	البقرة	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
31	04 - 01	المدثر	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ فَكْبَرٌ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾
33	36	النحل	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾
33	67	النحل	﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾
33	219	البقرة	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾

33	43	النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾
33	91 - 90	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾
34	39	الروم	﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُّوْهُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾
35	160	النساء	﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
35	130	آل عمران	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
35	279 - 278	البقرة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِن لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾
36	10	الحجرات	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
36	12	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾
42، 38	125	النحل	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾
39	199	الأعراف	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾
39	34	فصلت	﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
40	128	التوبة	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
40	109	آل عمران	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

40	285	البقرة	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾
40	33	الفرقان	﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾
41	77		﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾
41	57	الأعراف	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
44	64	آل عمران	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾
49	31	آل عمران	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
50	04	القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
52	24	سبا	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
53	14	العنكبوت	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾
54	06	التوبة	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾
56	66	النساء	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا﴾
59	35	الأحقاف	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	الحديث
10	«إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْعِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ ...»
10	«الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا»
16	«حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ....»
24	«يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ، يَا بَنِي هَاشِمٍ»
43 - 40	«أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»
30	«فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكَعَتَيْنِ....»
31	«كَانَ يَوْمٌ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ ...»
31	«بعث النبي صلى الله عليه وسلم ...»
31	«إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...»
35	«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»
36	«أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ ...»
36	«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ...»
37	«إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ...»
40	«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ...»
41	«نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا...»
41	«إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ ...»
44	«أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ ...»
44	«اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مِنْ مُحَمَّدٍ...»
49	«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ...»
50	«إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»
50	«إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ...»
57	«يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْدَنْ لِي بِالرَّنَا ...»
57	«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ...»

ثالثا: فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
47	عبد العزيز بن باز
31	محمد بن أبي بكر القرطبي
18	ابن تيمية
03	محمد بن جرير الطبري
30	ابن حجر العسقلاني
57	فخر الدين الرازي
32	محيي الدين أبو زكريا النووي
16	عبد الله محمد بن صالح العثيمين
06	علي بن عبد العزيز الجرجاني
30	شمس الدين ابن قيم الجوزية

رابعاً: فهرس قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانياً : المصادر

- عبد الحمي بن أحمد العماد العكري ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط1 دمشق، دار ابن كثير، 1406 هـ.
- البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، بيروت، دار طوق النجاة، 1422 هـ.
- أبو بكر البيهقي ، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، ط3، دار الكتب العلمية 2003 م.
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد 1416 هـ.
- الحاكم ، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية 1411 هـ.
- ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد بن علي العسقلاني، (د.ط) بيروت، دار المعرفة، 1379 هـ.
- محمد بن الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، دمشق، دار القلم، 1416 هـ.
- أبو حيان محمد بن حيان ، تفسير البحر المحيط، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413 هـ.
- علي بن عمر الدارقطني ، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط1، لبنان، مؤسسة الرسالة 1424 هـ.
- فخر الدين الرازي ،التفسير الكبير، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ.
- النووي يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ط7، بيروت، دار الكتب العملية (د.ت).
- أبو بكر بن أبي شيبة ، المصنف في الأحاديث والآثار، ط، الرياض 1، مكتبة الرشد 1409 هـ.

- محمد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة 1426هـ.
- ابن عاشور ، التحرير والتنوير،(د.ط)، تونس، الدار التونسية للنشر،1984 هـ.
- محمد أبو عبد الرحمن ، صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ط1، دار الصمعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1422هـ.
- محمد الأمين بن عبد الله الأرمي ،تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ط1 لبنان، دار طوق النجاة، 1421هـ.
- علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1414هـ.
- عبد الرحمن بن علي الجوزي ، كتاب الحدائق في علم الحديث والزهديات، تحقيق: مصطفى السبكي، ط1 بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، (د.ط) القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، 1413 هـ.
- أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، القاهرة، دار الحرمين،(د.ت).
- أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة مكتبة ابن تيمية (د.ت).
- أبو عبد الله محمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ط:1، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب 2003م.
- شمس الدين ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط 27، بيروت، مؤسسة الرسالة 1415هـ.
- لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1973م.
- محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة 1420هـ.

- أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية(د.ت).
- صفى الدين الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية، الهند، دار إحياء التراث 1393هـ.
- شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، التبيان في تفسير غريب القرآن، ط1، القاهرة، دار الصحابة 1992م.
- مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(د.ط)،بيروت،دار إحياء التراث العربي.
- أبو محمد المصري،الجامع في الحديث، تحقيق: مصطفى حسن حسين أبو الخير، السعودية دار ابن الجوزي 1996م.
- ابن منظور ، لسان العرب، ط3، بيروت، دار الصادر، 1414هـ.
- أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية 1988 م.
- عبد الملك بن هشام ذ، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (د.ط) بيروت، دار الجيل، 1411هـ.

ثالثا: المراجع

- علي بن عمر بن أحمد بادحدح، مقومات الداعية الناجح، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت).
- سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط3، القاهرة، دار الفكر، 1974م.
- عبد العزيز بن الباز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (التوحيد وما يلحق به)، تحقيق: محمد بن سعد الشويعر، ط2، الرياض، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، 1421هـ.
- عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، (د.ط)، دمشق، دار القلم، (د.ت).
- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط25 دمشق، دار الفكر، 1426 هـ.
- محمد أبو الفتوح البيانوني ، بصائر دعوية في جانب مناهج الدعوة وأساليبها، ط2، مصر، دار السلام 2006م.

- محمد أبو الفتح البيانوني ، مدخل إلى علم الدعوة، ط1، المملكة العربية السعودية، مؤسسة الرسالة، 2010م.
- علي جريشة ، مناهج الدعوة أساليبها، ط1، مصر، دار الوفاء، 1998م.
- عبد الرحمن حبنكة ، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط1، بيروت، دار القلم، (د.ت).
- أمين يوسف الدميري ، خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي 2004م.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002 م.
- إياد كامل إبراهيم الزبياري ، سياسة التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية، ط1، المملكة العربية السعودية دار الكتب العلمية، 2017م.
- عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة، ط9، بغداد، مؤسسة الرسالة، 1421هـ.
- عبد الفتاح بن السيد عجمي العسس، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، ط2، المدينة المنورة، مكتبة طيبة، (د.ت).
- أحمد الشايب ، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط7، القاهرة، مكتبة النهضة 1396هـ.
- محمد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوى ابن العثيمين، ط1، الرياض، دار الوطن، 1413هـ.
- علي محمد محمد الصلابي ، السيرة النبوية، ط2، دمشق، دار ابن كثير، 2009م.
- عصام بن عبد المنعم المري ، الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة ابن العثيمين، ط1، مصر، دار البصيرة 1423هـ.
- محمد الغزالي، مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، ط6، مصر، دار النهضة، 2005م.
- السيد نوفل أبو المجد، الدعوة إلى الله، خصائصها ومقوماتها ومناهجها، ط1، القاهرة، مكتبة الحضارة العربية، (د.ت).
- خلف يحيى العلي المحذيفي، إرشاد الرفيق إلى كيفية سلوك الطريق، ط1، القاهرة، دار النور العلية، 2012م.
- محمد درويش نبيل وآخرون، أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية تحليلية، (د.ط)، (د.ن) 2019م.

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط3، القاهرة، دار الدعوة، 2004 م.
- معوض علي وعادل عبد الموجود، تاريخ التشريع الإسلامي دراسات في التشريع وتطور رجاله ط1، بيروت دار الكتب العلمية، 2000م.
- الشحود علي بن نايف، خصائص المنهج الإسلامي في القرآن الكريم، ط1، (د.ن)، (د.ت).
- عبد الرحمان النحولاي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها والمدرسة والمجتمع، ط25، دار الفكر دمشق 1428هـ.
- عادل نويهض ، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، ط3، لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1409هـ.
- يوسف محي الدين أبو هلاله ، التدرج بين التشريع والدعوة، ط1، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة 1412هـ.
- سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، ط1(د.ن)، 1994م.
- عبد الرحمن بن يوسف الرحمة ، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، ط1، السعودية، دار ابن الجوزي، 1428 هـ.

رابعاً: الرسائل والمذكرات العلمية

- حامد بن أحمد بن علي العامري ، الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ.
- سعيد بن وهب القحطاني ، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، رسالة دكتوراه كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية 1421هـ.
- ماهر حامد الحولي ، التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية ومظاهره في قطاع غزة، رسالة ماجستير قسم الفقه وأصوله، الجامعة الإسلامية، فلسطين، 2010م.

- سليمان شحادة ، التدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، قسم الفقه والتشريع وأصوله. جامعة القدس، فلسطين، 2016م.
- إبراهيم بن عبد الله المطلق ، التدرج في دعوة النبي، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام بن السعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1417هـ.
- عبد الله عياد صبر العروي ، التدرج في الأساليب الدعوية وأثره في الدعوة، رسالة ماجستير قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام بن السعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1414هـ.
- خالد عبد الرحمن القرشي ، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة والإعلام قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام بن السعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1418 هـ.
- عبد الله بن محمد الموسى ، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، رسالة ماجستير معهد الدعوة الإسلامية، جامعة الإمام بن السعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1403 هـ.
- مشاعل بن مشعل العنزي ، التمهيد وأثره في قبول الدعوة، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، جامعة الإمام أحمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1437 هـ.

خامسا: المؤتمرات

- محمد حمد كنعان ميغا: "مراحل الدعوة ودورها في تحقيق مقاصد الشريعة"، المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة، 1434هـ، النيجر، جامعة إفريقيا العالمية.
- عبد الجيد خلادي، "مقاصد الرحمة في التشريع الإسلامي"، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، 1437هـ.

سادسا : المجالات والدوريات

- بدور حنان: "الآثار السلبية لمخالفة الحكمة في الدعوة إلى الله وسبل معالجتها"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد 13، العدد: 4، 18/02/2017م.

- بسوني محمد نحيلة، "جمالية الإسلام من خلال الوسائل والأساليب الدعوية وأثرها في الدعوة المعاصرة"، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، العدد 3، 2017م، عمادة البحث العملي وضمان الجودة، الجامعة الأردنية.
 - توفيق محمد الخطاب كمال: "نظرات اقتصادية في حكمة تحريم الربا الخفي"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية 1999م، العدد الخامس، الهيئة القومية للبحث العلمي، ليبيا، جامعة اليرموك.
 - درغام عيسى عبد الرزاق: "أهمية الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى"، مجلة الجامعة الأسمرية العدد 24 2012م، ليبيا، مركز البحوث والدراسات العلمية.
 - إبراهيم بن صالح الحمدان إبراهيم بن: "الإقناع والتأثير دراسة تأصيلية دعوية"، مجلة الإمام، العدد 46 محرم 1426هـ قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، السعودية.
- سابعاً: المواقع الإلكترونية

- أمين الدميري ، "خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله"، مكتبة الألوكة، نشر يوم: 02/19/2014، مأخوذ يوم: 03/8/2020 سا 10:00، (www.alukah.net).
- راغب السرحاني: "مرحلة الدعوة الجهرية في مكة"، مقال منشور في موقع قصة الإسلام، نشر يوم : 04/21/2010، الساعة 11:30، مأخوذ يوم 2020/04/22، الساعة: 11:00. (<https://www.islamstor.com>).
- ناصر بن سعد السيف: "معوقات الدعوة المعاصرة"، موقع الألوكة الشرعية، نشر يوم: 04/13/2018م، مأخوذ يوم: 05/28/2020م، 10:30، (www.alukah.net).
- هند بنت مصطفى شريفى: "معايير تزيد من أثر الوسائل والأساليب الدعوية"، موقع الألوكة الشرعية، نشر يوم: 01/19/2016م، مأخوذ يوم: 05/28/2020م، 10:00، (www.alukah.net).

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	إهداء
ب	شكر وتقدير
ج	ملخص الدراسة
و	مقدمة
المبحث الأول: ماهية خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى	
2	المطلب الأول: مفهوم خاصية التدرج وعلاقتها بالمصطلحات القريبة
8	المطلب الثاني: أهمية خاصية التدرج في الدعوة
15	المطلب الثالث: ضوابط خاصية التدرج
المبحث الثاني: خاصية التدرج في الدعوة من حيث إبلاغها وموضوعها	
21	المطلب الأول: خاصية التدرج في إبلاغ المدعوين
28	المطلب الثاني: خاصية التدرج في موضوع الدعوة
38	المطلب الثالث: خاصية التدرج في المناهج والأساليب والوسائل الدعوية
المبحث الثالث: آثار خاصية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى	
51	المطلب الأول: المقومات التي تعين الداعية على نجاح دعوته
56	المطلب الثاني: الآثار الإيجابية لخاصية التدرج في الدعوة
60	المطلب الثالث: الآثار السلبية لغياب خاصية التدرج في الدعوة
64	خاتمة
الفهارس العامة	
68	فهرس الآيات القرآنية
72	فهرس الأحاديث النبوية
73	فهرس الأعلام
74	فهرس قائمة المصادر والمراجع
81	فهرس الموضوعات